

# وحي الأربعين

عباس محمود العقاد



# وحي الأربعين



# وحي الأربعين

تأليف

عباس محمود العقاد



هنداوي

رقم إيداع ٢٠١٣/٢١٠٢٥

تدمك: ٤ ٥٢٩ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ + ٢٠٢ فاكس: ٣٥٣٦٥٨٥٣ + ٢٠٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

# المحتويات

٧	مقدمة
١١	تأملات في الحياة
٢٥	خواطر في شئون الناس
٣٣	قصص وأماثل
٤٥	وصف وتصوير
٥١	غزل ومناجاة
٦٩	قوميات واجتماعيات
٧٥	فكاهة
٨١	متفرقات



## مقدمة

### الشعر العصري

تناول بعضهم ديواناً من الشعر، فقال: هذا شعر عصري! هذا ديوان خلا من باب المدح وباب الهجاء، فهو شعر جديد وليس بشعر قديم.

ذلك مثل من أمثلة التقليد في إنكار التقليد، فالشعر لا يكون عصرياً مبتكراً لأنه خلا من المدح ولا يكون قديماً محكياً لأنه يشمل عليه، وإنما يخرج «المدح» من الشعر لأنه كلام يضطر الناظم إليه اضطراراً ولا يعبر فيه عن عقيدة صادقة أو عاطفة صحيحة، ولولا الحاجة إلى نوال الممدوح لما نظمه ولا أجاله في خاطره، فمن هنا كان المدح كلاماً لا شعر فيه ولا دلالة على شعور، أما المادح الذي يقول ما يعتقد أو يحس أو يتمثل أو يتخيل فلا فرق بينه وبين شاعر الوصف والغزل والحماسة من حيث القدرة الشاعرة، ولا سيما إذا هو أثنى بما يوجب الثناء في رأيه وضميره.

ولنضرب لذلك مثلاً من التصوير بالريشة، وهو كالشعر، أحد الفنون الجميلة التي يقع فيها الابتكار والتقليد، فلا نعرف ناقدًا يزعم أن المصور الذي يرسم رجلاً من أجل ثمن مقدور لا يُعدُّ من المصورين «العصريين»؛ إذ كل ما يُطلب منه هنا أن يجيد نقل الشبه والدلالة على الملامح والأطوار النفسية، فإن أجاد في عمله هذا فهو مصور كأحسن المصورين، وإن لم يُجد فليس بمصور وإن كان يرسم الأشخاص متبرعاً غير مأجور، أو كان يشغل نفسه بمناظر الطبيعة وما شابهها من الموضوعات التي تقابل الوصف والغزل في القصائد. وكذلك المدح في دلالته، على الشاعرية أو في انتظامه بين أبواب الشعر الصحيحة، فإنما يُعاب بيع الثناء من وجهة الخلق والعرف لا من وجهة الفن والتعبير،



أما الذين «يقلدون» في إنكار القديم فقد اختلط عليهم الأمر؛ فحسبوا المدح منفياً من عالم الشعر لذاته لا لما قدمناه.

وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل، فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدّها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يُحسب تقليدياً لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجازة للأقدمين واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيئ نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جرياً على رأي الآخرين.

إن هذا هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل.

فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضر بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لکمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود، فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب، وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق»، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر وإن كان مديحاً أو هجاءً أو وصفاً للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث.

كذلك يبلغ من ضيق الوعي وركود النفس ببعض النقاد أن يحصروا كل باب من أبواب الشعر في نمط لا يعدوه ولا هم يتخيلون غيره، فيقولون مثلاً: إن الغزل لن يكون إلا هكذا وإلا فليس هو بغزل، وإن الوصف لا بد أن يجري هذا المجرى وإلا فليس هو بوصف، ويحسبون أن النفوس لا تحس إلا على وتيرة واحدة ولا تعبر إلا على أسلوب واحد، فإذا سمعوا غزلاً فينبغي عندهم أن يكون على مثال الأغاني التي يسمعونها العامة في المراقص والأندية، أو على مثال يشبهه وينحو نحوه! وقس على هذا مذهبهم في سائر الأبواب: من أحب البحترى فليكن الوصف عنده بحترياً، ولا وصف على الإطلاق! ومن ألف حكمة المتنبي فلينظم الناس له أبياتاً على طرازها أو لا ينظموا على أي طراز! ومن عرف

أن «الاجتماعيات» مجال محمود في بعض الدواوين فحرام على الدواوين كلها أن تتسع لغير الاجتماعيات! ومن ظن أن الملاحم الكبيرة أثرت على كبار الشعراء، فالشاعر الذي لا ملحمة له ليس بشاعر كبير!

لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان «بالغزل الفلسفي» تحدياً لهذا الضيق السقيم والحجر العقيم، فقد أضحكني بعضهم حين سألني متبصراً: وهل الغزل الفلسفي مما يصلح لاستهواء الحبيب؟ فقلت له: ومن الذي زعم أننا لا نتغزل إلا لاستهواء الأحباء؟ إنك حين تناجي القمر لا تعني أن تستهويه أو تخاطبه بما هو أدنى إلى إدراكه، وإنك حين تحكي شعورك بالرياض والأزهار لا تفقه عنك الرياض والأزهار حرماً مما تحكيه، ولكنك تناجي وتحكي وتتغزل لأنك تعبر عما في نفسك قبل كل شيء، فالغزل تعبير عما تشعر به حين ترى الوجه الجميل والخلق القويم، وإذا كانت بعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوي عليه من الأسرار حين تنظر إلى الوجوه الجميلة، فلماذا يحرم عليها أن تمثل هذا الشعور؟ وإذا كانت بعض الطبائع تفرق بين الجمال وما تستحقه الدنيا من التفاؤل والتشاؤم وما يغمرها من الخير أو الشر، فلماذا يُحال بينها وبين التعبير؟ لأن الجمال لا يقع في معظم النفوس إلا موقع الغناء في المراقص يحتم على الشعراء أن يغرقوا في المراقص طوال الحياة؟

إن ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روع الأعمار هذه الأوهام عن الشعر وأبوابه ومراميه، بل ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روعهم أن الشعر جانب والجد جانب آخر وأن هذين الجانبين لا يلتقيان، فبين يدي كلمة للمغامر الإنجليزي لورنس يقول فيها: «إن رجال العمل عندنا ينطوون على جانب من الشعاعية بقسطنطينية من صلاح وصلاح». وبين يدي كلمة مثلها للحاكم الإيطالي «موسليني» يقول فيها للمؤرخ أميل لدفع: «إن الرجل السياسي ينبغي له أولاً وأخيراً أن يكون صاحب خيال، فإن لم يكنه جف ولم يبلغ قط شيئاً يُكتب له الدوام، ولست أقول هذا عن رجل السياسة وحده لأنه ما من إنسان كائناً ما كان يصل إلى شيء يُذكر بغير الشعاعية والخيال». وقد علمنا كيف أن «هريو» الوزير الفرنسي كان يشغل بوضع كتابه عن هوغو بين شواغله الجسام التي قلما يضطلع بمثلها وزير، وأمثال هؤلاء كثيرون حيثما يتسع أفق العمل والشعور والإدراك.

فالنظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير يستوعب ما يراه ويقيس ما غاب على ما حضر، وما يمكن على ما أمكن، وما يتمخض عنه المستقبل على ما درج في ألفاف الزمان، وتلك ملكة لا غنى عنها لعامل ولا عالم ولا شاعر ولا قارئ ولا

متعلم، وما دام أناس منا يجهلون مدى اتساع الحياة فلا عجب أن يجهلوا مدى اتساع الشعر، ولا بدع أن يهبط في مراتب الوجود إلى أفق دون أفق المشرفين على رحبه الشاسع الفسيح.

لقد رأينا دواوين لبعض الشعراء يستغرق ما فيها فضاء محدود يُقاس بعشرات الأشبار، فأين بقية آفاق الوجود؟ أين غرائب الإحساس التي تختلف إلى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟! إنك لن تستطيع أن تفرضها فرضاً إذا أنت قنعت من الدنيا بما تمثله لنا أشعار الناظمين المحدودين، فلنفهم شأن الخيال في توسيع الدنيا والسيطرة عليها نفهم شأن الشعر الصحيح، ولنفهم شأن الشعر الصحيح نحطم تلك السدود التي يحبسنا فيها أصحاب التعريفات من الجامدين أو المقلدين في كراهة التقليد، ولنذكر أبداً أن «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» عالم لا ينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال.

عباس محمود العقاد

# تأملات في الحياة

## الخلاصة الأولى والأخيرة

صح جسمًا فشافت الأرض عيني  
صح نفسًا فشاهت الناس حتى  
عجبًا للحياة ما سر فيها  
ه جمالًا وفتنة وضياء  
كره الأرض حوله والسماء  
جانب ترتضيه إلا أساء

## الهداية

كم في السماء نجوم  
وأنت في الأرض تبغي  
ضلت سواء السبيل  
هديًا بغير دليل؟

## سحر الدنيا

سحر دنياك يا أخَيَّ قديم  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
أفيمضي بسحرها كاهن ما  
كاهن الأولين أول مسحو  
سحر دنياك دائم حيثما دا  
سوف يبقى، ويذهب الكهان  
ت وفيها الشמוש والأعصان؟  
ت وفيها الثغور والأجفان؟  
ت وفيها الألحان والألوان؟  
ر، وفي كل حقبة ترجمان  
م عليها الإنشاد والتبيان

سحر دنياك دائم حيثما دا مت عليها الحياة والإنسانُ

### مسودات الحياة

تأمل ترى الأحياء عَجْمًا كأنها  
ويا رب سر في كلام «مسود»  
أراها كإخوان تفاوت حظهم  
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه  
ومن يلقيهم يلقَ الحياة كأنها  
«مسودة» للخلق لما تُنقَحِ  
يعود فيخفى في الكلام المصحح  
وميراثهم من سابقين ورزح  
إلى خاسر رفديهما أو مطرح  
حبت طفلة من مهدها المترجح

### جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا  
فلا تجعلن الموت حجة كاذب  
جلالة حق لا جلالة باطل  
لمدحة مذموم ورفعة سافل

### المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرَجَى  
فإذا أنكروا قبيحًا ففي القبر  
من بنيتها قبوله واغتفاره  
شطً بالفكر أو تدانى مزاره  
ح من الموت لونه أو شعاره

### رأي واحد في وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قردًا  
وأناس يزعمون الـ  
قد ترقى وتَحَلَّى  
قرد إنسانًا تدلَّى  
هو رأي واحد نقـ  
لبيه علوًا وسفلا!



## فلسفة حياة

مسائل الفلسفة الكبرى هي:

- (١) مسألة الإله.
- (٢) مسألة الحياة بعد الموت.
- (٣) مسألة السعادة في الدنيا.
- (٤) مسألة الخير والشر والحلال والحرام.

والقصيدة التالية تنتهي بالقارئ في كل مسألة من هذه المسائل إلى رأي نوجزه هنا ولا نعرض لأسبابه وبراهينه؛ لأنها مما يضيق عنه المقام.

فأما في مسألة الإله، فخلاصة القول أن الإله الموجود في كل مكان كفيلاً أن يصل إليك إذا أنت لم تصل إليه، وأن يعرف حقيقتك إذا عجزت أنت عن عرفان حقيقته، وفي هذا عزاء لمن رام العزاء.

وأما في مسألة الحياة بعد الموت، فخلاصة القول أن خيال الإنسان لن يحيط وصف تلك الحياة، أو لن يصل في شأنها إلى وصف يستقر عليه، فهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى كهذه الحياة الدنيا؛ لأنه يطمح أبداً إلى كمال بعد نقص وغبطة بعد ألم، وهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى مبدلة مستحيلة؛ لأنه متى تغير شعوره وتبدلت مداركه ومقاييس نظره أصبح مخلوقاً آخر، وأصبح النعيم الذي يرحوه كأنما هو نعيم مكتوب لإنسان سواه ... فهو يحب أن يغير حياته ولا يحب أن يغيرها في وقت واحد! ... والخروج من هذه الحيرة لن يكون إلا على حالة فوق ما يعقل وفوق ما يتخيل.

وأما مسألة السعادة، فالرأي في القصيدة أن ترك الدنيا كما يتركها عباد الهند خطأ، وأن التهاك عليها كما يتهاك عباد الحضارة خطأ كذلك، وأياً كان الحرمان الذي يُمنى به الإنسان فيشقيه، ففي الدنيا ولا ريب نعم جزيلة لم يُحرَمها قط إنسان يحبها ويشتاقتها، وتلك هي محاسن الطبيعة والإعجاب بالجمال حيث كان.

وأما مسألة الخير والشر والحلال والحرام، فالرأي في القصيدة أنه لا حرام في الجمال ولا حلال في القبح، فالفعل القبيح هو الفعل الحرام، ومن تجنب أن يشوّه جميلاً أو ينقص كاملاً فهو في حل من أن يصنع ما يشاء:

الغرام الملك، والملك الضياعُ	هاتِ لي الحُسْنَ الذي ليس يضيعُ
ليلة قمرء، أو سحر سماعُ	أو قصيداً راق، أو زهر ربيعُ
قال قوم زينة الدنيا خداعُ	قلت: خَيْرُ! بالذي نَشْرِي نبيعُ

\*\*\*

زاهد الهند نعى الدنيا وصامُ	أنا أنعاهها ولكن لا أصومُ!
طامع الغرب رعى الدنيا وهامُ	أنا أراعها، ولكن لا أهيمُ
بين هذين لنا حدُّ قوامُ	وليلُ من كل حزب من يلومُ

\*\*\*

## تأملات في الحياة

أيها السائل: ما بعد الممات؟  
ما وراء القبر في قول الثقافت  
يُمّ الصحراء وانظر قفرها  
حالة تحمد يوماً سرّها  
لا ولا ترضى حياةً غيرّها  
لست بالراضي حياةً كالحياة

\*\*\*

يعبد الأتقواء ما يخشونه  
ليس ينسى الله من ينسونه  
وأنا أعبد ما لست أخاف  
فعلام البحث فيه والخلاف؟!  
لم يقف دون مقامٍ أو مطاف  
إن وصلتُم أو وقفتُم دونهُ

\*\*\*

شرعك الحسن فما لا يحسن  
ليس في الحق أثمٌ بين  
فهو لا يحلو، وإن حلّ الحرام  
غير مسخ الحُسن أو نقص التمام  
فاستبجه، وعلى الدنيا السلام  
ما عدا هذين مما يمكن

## الحضان

قسّم حياتك بين حُسن بارع  
ما في سوى الحظّين من أمنيّة  
يُذكي الحياة، وحكمة تُنمّيها  
للمرء ينشدها ويستبقّيها

## إنذار الغضب إلى الحق المحتجب

يا حقّ لا تبرحُ خباءك  
فيم الإباء؟ ولم نكن  
أتعبتنا سعيًا وراءك  
فالزم مكانك في الثرى  
يا حقّ إلا أصدقاءك  
ما الروضة الغناء ذا  
إن شئت، أو فالزم سماءك  
والناس لا يجفوننا  
بله إذا حرمت ضياعك  
والحسن عند المبطليـ  
يومًا، إذا علموا جفائك  
ما فاز من يرجو رجاء  
ن، وعند من يهوى عداك  
لك في الحياة ولا نساءك



## وحي الأربعين

أنا إن سلوتك لم أكد  
يا حقُّ هذا حدُّنا  
أشتاق ما يغني غناءك  
فاختر ظهورك أو خفاءك  
أو لا فلا تبرح خباءك!  
إن جئتنا طوعاً فجئ

## رعونة الحياة

فيم اقتحامُ جنين واهن عطل  
هي الرعونة في طبع الحياة ثوت  
أرضاً أبوه بها حيرانُ مهموم  
وإنما حكمةُ الأقبامِ تعليمُ

## حكمة جهل الأطفال!

تجمّع في إهاب الطف  
ليطرق بابها طوعاً  
ل كلُّ غرارة الدنيا  
لو أن لمثله رأياً  
ولا عزماً ولا وعياً  
لأمر ما دخلناها  
ويدرج فوقها حياً

## كلنا شجعان

ما شجاعٌ وجبانُ؟  
كل مولود تراه  
نحن شجعان جميعاً!  
أولم يطرق جنيناً  
عسكر الكون الوسيحاً؟  
جاءه فرداً ولم ير  
داهم الحصن المنيعاً  
جع كما جاء سريحاً

## حكمة التوأم

حكيم ذلك التوأم      ومن آبائه أحزَمَ  
تهيب أرضهم فردًا      فجاء بصاحب مُلزمًا!  
ولو جاء بجيش كا      نَ في تدبيره أحكمًا!

## حب الدنيا، معجزة خارقة

هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها؟  
أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟  
الجواب في القصيدة التالية أنه لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —  
تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس!

قالوا الدنيا الحسناء سها      عنها ربُّ لا يقبلُهَا  
بل قالوا: يحجبها عنَّا،      أو ينهاها، أو يعقلُهَا  
ونرى الشيطانَ يزِينُهَا      ونرى الشيطانَ يدلُّهَا  
يا قوم ألا عينٌ نظرتُ      هذي الشوءاءَ تمتلُّهَا؟  
ما يقدر إلا رب الكو      نٍ يحببها ويجمِّلُهَا  
لولاه قتلنا أنفسنا      أو لم نعذل من يقتلُهَا  
أفهذي دنيا نعشقها      لولا رضوان يكفلُهَا؟  
من شكَّ فهذي قدرتهُ      فليعرفها من يجهلُهَا!

## الحياة والتفكير

ما لي أفكّر في الحياة ولا أرى      شيئًا يقرُّ بها على التفكير؟!  
إنِّي مضيت بها انقطعتُ كأنني      شجر على الدنيا بغير جذورٍ

## خذ من الحياة

الموت طرّاق على الـ الموت طرّاق على الـ  
أبواب، عافٍ<sup>١</sup> كالعفاة الموت أخاذ فخذ  
ما تستطيع من الحياة

## أم شحيحة

لكل شيء ثمنٌ لكل شيء ثمنٌ  
يا شحّ دنيا لم تجدْ يا شحّ دنيا لم تجدْ  
لا تُرضع الأبناء إلا لا تُرضع الأبناء إلا  
وبالربا مضاعفاً وبالربا مضاعفاً  
قد زعموا من الألم قد زعموا من الألم  
إلا تولّاهما الندمُ إلا تولّاهما الندمُ  
بدواةٍ وقلّمٌ بدواةٍ وقلّمٌ  
غولط في كلِّ رقمٍ! غولط في كلِّ رقمٍ!

## على بحر الحياة

أمنُ نظرةِ الآبادِ والمثَلِ الأعلى أمنُ نظرةِ الآبادِ والمثَلِ الأعلى  
لقد كانتِ الأجيالُ عندي قريبةً لقد كانتِ الأجيالُ عندي قريبةً  
نظرتُ إلى عليا الحياةِ أرودها نظرتُ إلى عليا الحياةِ أرودها  
فأليتُ أقضيها كمن راح طافياً فأليتُ أقضيها كمن راح طافياً  
فإن شئتَ قلْ هذا غريقٌ وإن تشأْ فإن شئتَ قلْ هذا غريقٌ وإن تشأْ  
إلى اليومِ بعدَ اليومِ والنظرةِ العُجْبَى؟ إلى اليومِ بعدَ اليومِ والنظرةِ العُجْبَى؟  
فقد عادتِ الساعاتُ تُوسِعُنِي ثقلًا فقد عادتِ الساعاتُ تُوسِعُنِي ثقلًا  
فألفيتها صفرًا، ولم أحمِدِ السُفلى فألفيتها صفرًا، ولم أحمِدِ السُفلى  
على اليمِّ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلاً على اليمِّ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلاً  
فقل سايحٌ لم يُدرَ أقبلَ أم ولى فقل سايحٌ لم يُدرَ أقبلَ أم ولى

## نقمة في نعمة

نِعْمَةُ الإحساسِ ما بَرَحَتْ نِعْمَةُ الإحساسِ ما بَرَحَتْ  
لَا يُحِسُّ الفَقْدَ فاقْدُهَا لَا يُحِسُّ الفَقْدَ فاقْدُهَا  
نعمة في طيِّها نِقَمٌ نعمة في طيِّها نِقَمٌ  
ونصيبِ الواجِدِ الألمُ ونصيبِ الواجِدِ الألمُ

<sup>١</sup> العافي طالب الفضل أو الرزق.

## بنية قوية

تعاقَبَ السُّوسَ والجرادَ وما  
فلا تَحْفُ آفَةٌ ولا غَيْرًا  
دُنْيَاكَ هذِي قَوِيَّةٌ صَمَدَتْ  
بَادَ رَبِيحٌ ولا انطوى شَجَرٌ  
يُمْنَى بها في الضمائرِ البَشَرُ  
لكلِّ شَرٍّ جرى به القَدَرُ

## ما فوق الحياة

يا طالبًا فوق الحياةِ مدَى له  
ما في خيالك صورة تشتاقتها  
ولو استويتَ على الخلودِ وجدتها  
يعلو عليها هل بلغتَ مداها؟  
إِلا وَحَوْلَكَ لو نظرتَ تراها  
كفؤًا لعينك لا تروم سواها

## سر أبي الهول

أَكْرهُونا على هواكَ وقالوا  
إِن يَكُنْ فيكَ يا أبا الهولِ سرٌّ  
من دعانا إلى هواكَ؟ أَجِبْني  
أَنْتَ يا عالم الشَّقَاءِ حَبِيبُ  
فهو هذا الهوى الخفيُّ العجيبُ  
نحنُ أم أَنْتَ أم سَمِيعُ مُجِيبُ؟

## زَمِيلانِ في البيتِ، عدوَّانِ في الطريقِ

لا حينَ كانوا مؤمنين تقيِّدوا  
الطبعَ والإيمانَ إن سَكنا معًا  
بُهْدَى، ولا حين استرابوا في الهُدَى  
ركبا الطريقَ هنيهة فتفرَّدا

على الشاطئ

وَرَدُّوا الْبَحَرَ فَأَهْلًا      بِهِمْ - يَا بَحْرُ - أَهْلًا  
أَنْتِ لَا تَحْفَلُ مِنْهُمْ      مَنْ وَلَّى أَوْ مَنْ تَوَلَّى

\* \* \*

نَزَلُوا شَطَّكَ غَيْدًا      وَشَبَابًا وَمَشِيبًا  
طَلَبُوا فِي الْمَاءِ بَرْدًا      فَذَكَا الْمَاءُ لَهَيْبًا

\* \* \*

وَرَدُّوا الْبَحَرَ عِطَاشًا      رَشَفُوهُ غَرْفُوهُ!  
لَوْ يَكُونُ الْبَحْرُ بَحْرًا      مِنْ سُرُورٍ نَزْفُوهُ  
الْمَسَاكِينُ يَرِيدُو      نَ مِنْ الدُّنْيَا اتَّسَاعَا  
أَخْذَعُوهَا، فَهِيَ لَا تَو      سَعُكُمْ إِلَّا خِدَاعَا

\* \* \*

وَإِذَا لَاحَتْ بِوَجْهِهِ      يَمَلَأُ الْأَبْصَارَ رُعبَا  
فَاضْحَكُوا مِنْهَا وَقَوْلُوا      مَا أُحْيَلِي! مَا أَحْبَا!

\* \* \*

وَإِذَا مَدَّتْ إِلَيْكُمْ      بِيَدٍ فِيهَا الْجِمَامُ  
فَخُذُوا الْمَوْتَ وَقَوْلُوا      هُوَ خُلْدٌ وَسَلَامُ!

نصف رغيف

عجبي للحياة أشرف ما تح  
صفحات السماء والأرض طرًا  
والجوه التي تشوقك حسنا  
ويه وقف على الحقير الطفيف  
والمعاني من تاليد وطريف  
تنطوي إن فقدت نصف رغيف

## لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا! لو اسطعّعتِ سماعي  
أكرميننا حيثما تدعيننا!  
قالت الدنيا: ولم أكرمكم؟!  
حبّذا الخان! فلا ضيف هنا  
قد نزلنا منك في غير اتّساع  
أو دَعِينَا من لقاءٍ ووداع  
كلنا في الحق مدعُوّ وداع  
إنما تُجْزِي متاعًا بمتاع

## في جانب الهرم

دعا به هاتِفٌ من جانبِ الهرمِ  
تملّ ما شئتَ من سُخْفٍ ومن عِظَمِ!  
ما خلّد الدهرُ شيئًا قط نعلمُهُ  
بين الظُّلَمَينِ من ليلٍ ومن قَدَمِ  
هنا التَّقَى السُّخْفُ في التاريخِ بالعِظَمِ  
إلّا وفيهِ من الأنوارِ والظُّلَمِ

## طفل على البحر

عَدَا على البحرِ جذلاً فقلتُ له:  
فقال في لثغةِ الطفلِ البريءِ وفي  
يا حبّذا البحرُ في عُمقٍ وفي سعةٍ  
كذلك الناسِ في بحرِ الحياةِ لهم  
لا تُلقُ بالاً إلى ما ينطقون به  
هل قصر البحرُ أو أربى على الأملِ  
صراحةِ الطِّفْلِ قولاً بيّن الخطلِ  
لو كان من سُكَّرٍ أو كان من عَسَلِ!  
سُخْفٌ من القولِ في صدقٍ من العملِ  
وانظر إلى ما تولاهم من الجدَلِ<sup>٢</sup>

<sup>٢</sup> إن جدل الطفل على شاطئ البحر لم يمنعه أن يتمنى فيه الأمانى لتغييره، فانظر إلى جذله ولا تنظر إلى أمانيه، وكذلك الناس على بحر الحياة حين يستمتعون بجذلهما ويكثرون من التمني لما ليس يكون والأسف على ما كان.

## ذات وجوه

وَجُوهٌ حَيَاتِنَا مَتَعِدَاتٌ      وَدَعُ عَنكَ الْبَرَاقِعَ وَالطَّلَاءَ  
فَإِنْ تَحَمَّدَ وَسَامَتْهَا صَبَاحًا      فَقَدْ تَنَعَى دِمَامَتَهَا مَسَاءً

## قبرة شلي

للشاعر الإنجليزي «شلي» قصيدة ساحرة يناجي بها القبرة الشادية، وللشاعر الإنجليزي «توماس هاردي» قصيدة حزينة يود فيها أن يستنقذ من ركام الأرض أشلاء تلك القبرة الهزيلة التي هاجت خيال «شلي» الفياض.

وقد نظمتُ الأبيات التالية عقب تلاوة هذه القصيدة الأخيرة:

فِيمَ افْتِقَادِكَ جِسْمَ قُبْرَةٍ تَوَى      فِي الْأَرْضِ بَيْنَ رَمَائِمٍ وَحَفَائِرٍ؟  
الآنَ صَوْتُ الشَّعْرِ خَلَّدَ صَوْتَهَا      تَبِغِي الْخُلُودَ لَجْسِمِهَا الْمَتَطَائِرِ؟!  
حُذِّ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ تَرَى الدُّنْيَا تُصَبُّ      فِيهِ رُفَاتًا هَاجَ مُهْجَةَ شَاعِرٍ

## ضلال الخلود

كَانَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ عَشْرِينَ أَلْفًا      مِنْ سِنِي الْأَرْضِ، شَاعِرٌ عَبَقْرِيٌّ  
كَانَ، لَا شَكَّ فِيهِ عِنْدِي وَلَا مِثُّ      نُنُّ، وَإِنْ شَكَ جَاحِدٌ وَغَيْبِيٌّ  
نَظْمَ الشُّعْرِ فِي الْحَسَانِ وَحَيِّ      قَبْلَةَ الشَّمْسِ وَهُوَ دَاعٍ شَجِيٌّ  
لَيْتَ لِي مِنْ قَصِيدَةٍ بَيْتَ شَعْرِ      فِي ثَنَائِهَا الْبِلَادَ يَرْوِيهِ حَيٌّ  
لَيْتَ لِي مِنْ قَصِيدَةٍ فَرَدَ بَيْتَ      صَحَّ أَمْ لَمْ يَصْحَ مِنَ الرَّوِيِّ  
أَشْتَرِي بَيْتَهُ بِدِيَوَانِ شَعْبِيٍّ      نَ فَأَيْنَ الْمَسَاوِمُ الصَّيْرَفِيُّ  
ضَلَّةً لِلْخُلُودِ نَأْسَى عَلَيْهِ،      أَخْلَدَ الْخَالِدِينَ فِيهَا دَعِيٌّ!

## النور

إذا كان النور مما يُحَسُّ بالعين فليس يلزم من ذلك أن العين هي الوسيلة الفريدة بيننا وبين النور؛ إذ نحن نحسه بأرواحنا وبكل ملكة روحانية فينا، فنشعر أنه والحياة من معدن واحد في عنصرها المحسوس وعنصرها المجرد على السواء ... وإلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلاً عن الفلاسفة والمتصوفة؟ ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة في الكنه والقياس، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب، وهذا شعور شعرنا به من قديم في الداووين الأولى قبل أن يصل العلماء إلى تحليل النور على النمط الحديث، وقد عدنا إليه في هذه الأبيات:

النُّورُ سِرُّ النِّجَاةِ	النُّورُ سِرُّ الحَيَاةِ
النور وحي الصلاة	النور وَحْيُ النُّهْيِ
النور شوقُ الفتاة	النور شوقُ الفتى
لمح العيونِ الخواة	المحُّ بالرُّوحِ لا
معناه إلا أداة	ما تبصر العين من
لا ما افتراه الهداة	هذا سبيل الهدى

## الشمس

وإلا فما بالُ النفوسِ بها تسمُو؟! سعادةٌ رُوحٍ ليس يعرفها الجِسْمُ كما قد يعافُ اللحمُ والسمعُ والشَّمُّ بقلبي من شمسِ النهارِ هوى جَمُّ غريب عرا، لم يُدرِ وَصْفُ له واسمُ وتُشرقُ فيها، كيف يطرقُها الغمُّ!	أرى الشمسَ روحانيةً في جمالِها إذا فاض منها النورُ هزَّتْ قلوبنا ولو أنها من لذة الحس عفتها كرهتُ من الدهرِ الكثيرِ ولم يزل تُرى كلَّ يومٍ وهي عندي كأنَّها عجبتُ لأرضٍ تخطر الشمسُ فوقها
--	--



## إلى غاندي حين أعلن الصيام

أتيت إلى الدنيا العريضة عارياً  
تركت لهم حتى الطعام فقل لنا  
إذا البؤس والحرمان كانا شفاعاً  
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمةً  
وتقضي بها جوعاً، وما عزّ مأكلاً!  
على أي شيء بعد موتك تقبل؟!  
لعالمك الأعلى، فما هو أفضل  
لمن يطلب النعمى فبئس المعول

## الوجه الفيلسوف

أرى لك أنت فلسفةً صُراحاً  
أدُم العيش في ألفي كتابٍ  
إذا ما الفيلسوف أطل سخطي  
غُنيت عن الأدلة والأحاجي  
بلمح العين أقرأها جميعاً  
وتعرض لي فأمدحه سريعاً  
على لؤم الحياة فكن شفيحاً  
ومن حاجاك<sup>٣</sup> لم يك مستطيعاً

<sup>٣</sup> حاجاه: غالبه في الحجى أي العقل، أو ألقى عليه الأحاجي والألغاز.

## خواطر في شؤون الناس

### القدر يشكو

صغيرٌ يطلب الكبرا  
وخالٍ يشتهي عملاً  
وربُّ المالِ في تعبٍ،  
ويشقى المرءُ منهزماً  
ولا يرضى بلا عقب  
ويبغي المجد في لهف  
ويحمد إن سلا، فإذا  
فهل حاروا مع الأقدار  
شكاة ما لهم حكم  
وشيخٌ ودَّ لو صغرا  
وذو عملٍ به ضجراً  
وفي تعبٍ من افتقرا  
ولا يرتاح منتصراً  
فإن يعقب، فلا وزراً  
فإن يظفر به فترا  
توله قلبه زفرا  
ر أو هم حيروا القدرًا!  
سوى الخصمين، إن حضرا

### الحمد المعكوس

يا رَبِّ حَمْدٌ لم ينله الذي  
وربُّ هجوٍ طافَ بي لم يَكُنْ  
قد ناله إلا لهجوي أنا  
يطوفُ بي لو لم أكنْ مُحسِنًا

## عدل الموازين

إنا نريد إذا ما الظلمُ حاق بنا  
عدلُ الموازين ظُلمٌ حين تنصبُها  
ما فرقتُ كفةَ الميزانِ أو عدلتُ  
عدلَ الأناسيِّ لا عدلَ الموازين  
على المساواةِ بين الحرِّ والدُّونِ  
بين الحليِّ وأحجارِ الطواحينِ

## الخبز والفقير

أحسب الخُبْزَ لو دَرَى لتأبَى  
إنما تُسَلِّسُ الطُّلابُ جميعاً  
في يدِ الجائعِ الفقيرِ إليه  
لامرئٍ هانتِ الطُّلابُ عليه

## عادة مريحون

نَعَمِ العُداةُ تكفَّلوا بمدائحي  
وتكفَّلوا بالتَّارِ منهم كُلاً  
حملوا المتاعِبَ واسترحتْ فلم يزل  
لما استحقُّوا الذمَّ والتعذيرا  
ملاؤا صدورهمُ لظى وسعيرا  
سعي العداة موفِّقا مشكورا

## عم صباحاً، عم مساء

عَمِ صباحاً عَمِ مساءً  
أَقْبَلَ الصَّبحِ ووَلَّى  
وأخذنا ورددنا  
ولقينا أصدقاءً  
فشقينا بولاءٍ  
وعشقنا وتركنا  
من عشقناه ومن لم  
وعرفنا الحقُّ أحياء  
ذهبَ العُمْرُ هباءً!  
ومضى اللَّيْلُ وجاءَ  
فحكى الأخذُ العطاءَ  
وفقدنا أصدقاءً  
وتملينا عداً!  
حبُّ من سَرَّ وساءَ  
نره قط سواً  
نأ فلم نعرف هناً

## خواطر في شئون الناس

وجهلنا الحق أحياء  
وقتلنا الجسم والرؤ  
ثم نمضي حيثما نم  
لم نزد في الأرض مملو  
عم صباحاً يا زمني!  
نأ فلم نجعل شقاء  
ح سقاماً وشفاء  
ضي سراعاً أو بطاء  
ءاً ولم ننقص فضاء  
يا زمني عم مساء!

## شطور

دليل على أن الكمال محرّم  
فما المرء في جسمٍ وروحٍ بكامل  
إنّا تُ خَلِقن بينها وذُكُورُ  
ولكنَّ كُلَّ العالمين شُطُورُ

## سوء الظن

من ساء بالناس ظناً دون ما ألم  
أسى ظنونك لكن مكرهاً أبداً  
أحق عندي بسوء الظن والتُّهم  
كمن يظن ببعض الآل والحرَم

## البرهان المحسوس

تعب الفلاسفة الكرام ليهدموا  
وأرى الدمامة في وُجوه جُناتها  
حُجَجَ الشُّرور ويدعموا البرهاننا  
عصفت بفلسفة الشُّرور عيانا

## الآمال

كانت الآمال تحملني  
إن أحلاماً تعللني  
فأراني اليوم أحملها  
غير أحلامٍ أعللها

## سِرُّ فِي طَرِيقِكَ

سِرُّ فِي طَرِيقِكَ بَيْنَ اللَّائِمِينَ وَلَا  
فَالنَّاسُ يَرْضَوْنَ عَمَّنْ لَيْسَ يَحْفَلُهُمْ  
تَحْفَلُ بَمَنْ جَدَّ فِي لَوْمٍ وَمَنْ لَعِبَا  
وَيَغْضَبُونَ عَلَى مَنْ يَحْفَلُ الْغَضْبَا

## اعرف ما ترميه، تعرف ما تجنيه

تَعْلَمُ كَيْفَ تَسْتَغْنِي  
فَمَنْ يَجْهَلُ مَا يُلْقَى  
إِذَا مَا شَتَّتَ أَنْ تَغْنَى  
فَقَدْ يَجْهَلُ مَا يُجْنَى

## إِنْصَافُ الظَّالِمِ

أَنْصَفْتَ مَظْلُومًا فَانْصَفْ ظَالِمًا  
مَنْ يَرْضَى عُذْوَانًا عَلَيْهِ يَضِيرُهُ  
فِي ذَلَّةِ الْمَظْلُومِ عُذْرُ الظَّالِمِ  
شَرٌّ مِنَ الْعَادِي عَلَيْهِ الْغَانِمِ

## عِزَاءٌ

لَا الْيَأْسُ أَوْلَى يَأْسٍ  
فَإِنْ تَقَضَّى رَجَاءً  
وَأَوْ حَلَّ يَأْسٌ فَأَهْلًا  
شُقَّ الطَّرِيقُ قَدِيمًا  
وَلَا الرَّجَاءُ بِسَرْمَدٍ  
فَإِنَّهُ يَتَجَدَّدُ  
إِنَّ الطَّرِيقَ مُمَهَّدُ  
فَالْعُودُ أَهْدَى وَأَحْمَدُ!

## الْخِلاصَةُ

لَيْسَتْ خِلاصَةٌ كُلُّ شَيْءٍ غَنِيَّةٌ  
فَالشَّهْدُ وَهُوَ خِلاصَةُ الْأَزْهَارِ لَا  
عَنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ خِلاصَةُ مَا هِرٍ  
يُغْنِي الْعَيُونَ عَنِ الرَّبِيعِ الرَّاهِرِ

## تكاليف العظمة

كُنْ عَظِيمًا وَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا  
كُل رَاجٍ يَلْقِي عَلَيْكَ مُنَاهُ،  
هَمَّةٌ كَلَفَتْكَ هَمًّا جَسِيمًا  
فَإِذَا خَابَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَلُومًا،  
تُنْصِفُ الْأُمَّةَ الضَّعِيفَ وَلَا تُنْـ  
صِفُ يَوْمًا عَظِيمَهَا الْمَظْلُومًا

## رب عبوسة خير من بشاشة

إِذَا مَا تَبَيَّنَتِ الْعَبُوسَةُ فِي امْرِئٍ  
أَجَلَ سَلُهُ قَبْلَ اللُّومِ فِيمَ انْقِبَاضِهِ  
فَمَا تَحْمَدُ الْعَيْنَانِ كُلَّ بَشَاشَةٍ  
قَطُوبٌ كَرِيمٌ خَابَ فِي النَّاسِ سَعِيهِ  
فَلَا تَلَحَّهُ، وَاسْأَلْ سَوَّالَ حَكِيمٍ  
وَفِيمَ رَمَى الدُّنْيَا بِطَرْفِ كَظِيمٍ  
وَعَلَّةَ حَزْنٍ فِي الْفَوَادِ مَقِيمٍ  
وَلَا كُلَّ وَجْهِ عَابِسٍ بِذَمِيمٍ  
أَحَبُّ مِنَ الْبَشَرِيِّ بِفَوْزٍ لُئِيمٍ

## وصايا معكوسة

من عمل بها فلعيه وزرها.

ومن لم يعمل بها فأجره على الله!

إذا قال الرجل لرسوله: «أذهب إلى السوق فهاتِ عَنبًا حَامِضًا!» فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبهه إلى اجتنابه، وكذلك هذه الوصايا إنما هي وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب، والقصد منها أن تصف ما يقع أحياناً بين الناس، وتذكر أن يشيع:

## الضعة والشرف

وَالِ الْمَدَنَسُ بِالْعِيُوبِ وَلَا تَكُنْ  
فَذُووُ الْمَعَائِبِ لَا تَنَاحِرَ بَيْنَهُمْ  
يَوْمًا وَلِيًّا لِلنَّبِيلِ الطَّاهِرِ  
وَالنَّبِيلُ فِيهِ سَبِيلُ كُلِّ تَنَاحِرِ  
وَذُووُ الْمَعَائِبِ آمَنُونَ لِمَنْ وَفَى  
وَالنَّبِيلُ لَيْسَ بِأَمْنٍ لِلْغَادِرِ

وذوو المعائب ما لهم من حاصر  
وذوو المعائب يسترون خلالهم  
وذوو المعائب عذرهم في نقصهم  
وذوو المعائب ينعمون بحظهم  
ولرب ربح فات من ذي ذمة  
رأي السلامة إن أردت فخذ به

والنبل محصور قليل الناصر  
والنبل ما لهناته من ساتر  
والنبل ما لكماله من عاذر  
والنبل ما لشقائه من آخر  
يسعى إليك مع الخئون الخافر  
أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

### مصائب النخوة

لا تكن موئلاً لآمال قوم  
وأخف ما استطعت منهم يخالوا  
أن في طينة ابن آدم لؤماً

سوف تمنى بيأسهم منك بعد  
أمنهم من أذاك غنماً يعد  
يستوي في قذاه حر وعبد

### بمن تثق؟!

ثق بالرزيلة تلقها  
إن الفضيلة قلما  
حتى الأفاضل عرضة  
ما كل يوم يرتجى  
ومن النوادر أن ترى  
من لم يدر في دهره

في كل حين حاضره  
تلقاك إلا عابره  
لهوى الهنات البادره  
عطف النفوس الطاهره  
عند التعطف قادره  
دارت عليه الدائره

### من تكون؟ ومن لا تكون؟

كن بينهم «بوذا» فإن لم تطق  
أو عش معافى بينهم لا ترى  
قد ضل من يطلب إصلاحهم

فكن كتيهور ونيرونا...!  
إصلاحهم دنيا ولا ديننا  
لا غرو أن سموه مجنوننا!

يأمنهم من فاتهم طائعا  
أو راح فيهم طالبا نفعه  
من هان أو هان الورى عنده  
أولئك الرهط الذي لم يزل  
يا بؤس أرض لا نرى فوقها  
إلا طغاة أو مراثينا  
أو ساقهم كرها مطيعينا  
لا عاليا يابى ولا دونا  
أو سامهم في ظلمه الهونا  
يأمن ما يخشى النبيونا  
إلا طغاة أو مراثينا

### الخلاصة الأولى والأخيرة

هما سبيلان من يبغ السلامة لا  
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف  
قد يهجر الأمن من دلوا ومن وهنوا  
فاختر لنفسك: إما المجد في خطر  
وما اختيارك إلا ما خُلقت له  
يأسف على الحق أو يحلم برؤياه  
على السلامة إن خانتته دنياه  
وما تفرق قط الهول والجاه  
أو الهوان، وقد تشقى ببلواه  
إن الطبائع ما ترضاه نرضاه

### عداوة الرجال وعداوة الأفكار

قصدوا الرجال ورحت أقصد دونهم  
فجنيت أحقاد الرجال وما جنوا  
ولعلمهم إن جاء يوم حسابهم  
لولا الطبائع ما توسل عاقل  
إرضاء آمال لمصر كبار  
حقدا من «الآمال» والأفكار  
كسبوا من «الآمال» كل فخار  
أبدا بغير وسائل الفجار

### صراع بين ندين

بعض المجرمين يُوصفون بقوة العقول؛ لأنهم صرعوا ضمائرهم ومضوا خفافا في طريق النجاح، ولو كانت ضمائرهم حية قوية لما استطاعوا قهرها ولا وصفهم أحد بكبر العقول، فربَّ عقل صغير غلب ضميره؛ لأن ضميره ميت لا يتحرك، ورب عقل كبير عنا لضميره لأن ضميره أكبر ... فخير لمن يصف عقلا بالقوة أن ينظر إلى الندين، وأن يرجع في حكمه إلى أصول الصراع!



صرع الضمير الميت فالتفتوا  
ليس الصراع بفن مقدرة  
ولرب عقل للضمير عنا  
يتعجبون لعقله العاتي  
ما بين أحياء وأمواتٍ  
تعنو العقول له زرافاتٍ

### صور الرجاء

أمسيت أذكرها ما مضى من صبوتي  
قد ييأس الإنسان من غده ولا  
ما شئت من صور الرجاء فُلذُّ به  
والذكر آمال الزمان الغابرِ  
تلقاه ييأس من حنين الذاكِرِ  
بعض الغد الآتي كأمس الدابرِ

### شفاعة العفو

إن الإساءة إن رجعت بها إلى  
من علل الأشياء ردَّ دفينها  
أولى بمحو الذنب أن يُلقَى به  
أصل غرست لها جذورًا في الثرى  
حيًا ويابسها المحطم أخضرا  
كالفرع جف على الثرى فتكسرا

## قصص وأماثيل

### أكاروس

قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تُروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المأزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد برًا وبحرًا، حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقي عنده كرامة وحسن وفادة، وأمّل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورًا مشهورًا في الأساطير باسم «منوطور»، فولدت منه طفلًا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سردابًا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولًا وحسب حساب الرفض والقبول، ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسياسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فنارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربًا من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبيلهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران

والوثوب، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبكيه من حولها نبات الماء، فالأسطورة مجال لاستعراض عِبَر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح:

وتلك المهاوي من خضارة<sup>١</sup> فاجنبِ  
ونادى، فنحى جنده كل مركبِ  
متى حيل ما بين السماء وكوكبِ  
أنيس ولا جن ولا ذات مخلبِ  
على سنة الطير التي لم تُهدَّبِ  
على أهبة في جوّها المتقلبِ

أكاروس هذا مسبح الطير فاركبِ  
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه  
وظن بنا عجزًا، فيا سوء رأيه!  
أدر مركب الريش الذي ما استقله  
وطِرْ نلتمس عبر<sup>٢</sup> الشمال ونرتحل  
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها

\* \* \*

إلى الأوج، فاحفظه لشوط مغيبِ  
ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب<sup>٣</sup>  
فلا تجعل العقبي إلى شر مهربِ  
ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلبِ  
جناحك، أو تبتلّ بالماء ترسبِ  
لريشك وهي من رشاش مرطبِ  
ومن خبرتي نخر الصناع المجربِ  
صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبي  
يخُنك جناح الرأي يومًا فتعطبِ  
أمانة روح لم يصنها لمأربِ  
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيبِ

ألا وادخر عزمًا يقودك شرخه  
وسر قدمًا إن المطار لواحد  
أكاروس! إنا هاربان من الردى  
توسط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدًا  
فإنك إن تغتر بالشمس ينخذل  
هنا لافح يوهي اللحم، وها هنا  
أكاروس، إنني باذل لك من يدي  
تذكّر عظامي واعلم اليوم أنه  
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي  
أقل من الصخر امرؤ ضم جسمه  
ولي فيك أعمار طوال وللدى

<sup>١</sup> اسم معرفة للبحر.

<sup>٢</sup> العبر الشاطئ.

<sup>٣</sup> أي إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد، ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك، وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام.

فتى صالحًا يجني الفناء على أبٍ  
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب<sup>٤</sup>  
سبيل إلى تكراره لمعقبٍ  
وللأرض منا لهفة المتغربِ  
وإما فراق شاعب كل مشعبٍ

حياتك من بعدي معادي، ولن ترى  
وللأمس شوقٌ أن يرى الغدَ طالعًا  
بُنَيَّ استمع قولي فما بعد نسيه  
إلى الجوا! هذا يا بني وداعنا  
فإما لقاء بعدُ فوق صَعِيدِهَا

\*\*\*

ونِعْمَ الموصِّي من حكيمٍ مدرّبٍ  
من العجز إن قيست بها لم تركبِ  
لِتُقَبَسَ من سر الحياة المحجبِ  
أَكْفًا وأعضادًا إلى كل منكبِ  
قدير على فعل الأعاجيب معجبِ  
وخلسة ثعبان وحيلة ثعلبِ  
وبيت لأجيال وزين لمنصبِ  
وقد يحمل الغيران أوزار مذنبِ  
ولم يرع حق الأخت في ابن محببِ  
وواراه، لم يندم ولم يتحوب<sup>٦</sup>  
فضاء أثينا من مقيم ومعزبِ  
وهذا مزجى دونها كالمتربِ  
نكاء يريك النجم في جنح غيهبِ  
وكانت منازًا بين شرق ومغربِ  
تصعد أثناء الذرى بالتصوبِ  
على خير أهل في حماها ومرحبِ

وصاة لديدالوس وصى بها ابنه  
صناع له كف كأن أكفنا  
عليم بأسرار الفنون، وإنها  
ومن يؤت تصريف الجماد يصف به  
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة  
يُعِيرك من يماناه صوله قشعم<sup>٥</sup>  
ويبني فمبناه عماد لأمة  
ولكنه بئس الغيور على اسمه  
تغيظ لما بزّه فرع صنوه  
فأصماه، لم يشفق عليه من الردى  
وما كان إلا أن نبا بكليهما  
فهذا مسجى في تراها مترب  
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره  
ووارته من عين الغريم فنونه  
وما زال يغروري البلاد ويتقي  
إلى أن تلقته «كريت» وربها

<sup>٤</sup> الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

<sup>٥</sup> القشعم: المسن من النسور، ومن كل شيء.

<sup>٦</sup> تحوب: أي تجنب الحوب، وهو الذنب.

وأمل «مينو» منه حصناً لملكه  
فحصنه «مينو» بملك مؤشِب<sup>٧</sup>  
وما ملك إلا له من صناعة  
معاقل يبنيها ليوم عصبصِ

\* \* \*

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤ  
تحير ديدالوس ما بين منكر  
أحمل شكر الملك أم كيد عرسه  
غوت غرس مينو واشتتت، ساء ما اشتتت  
تحن إلى ثور وتهوى اقترابه  
فأولدها طفلاً له مثل ظلفه  
ويا رب أنثى تعشق الثور كلما  
سباها فتى بالجسم لا الروح يستبي  
ليس ولي العهد منه بمعجب!  
إلى شر وجه آدمي ومنكب  
وإرجى للمخوف المؤرب<sup>٨</sup>  
وغير ديدالوس يخفي شنارها  
أهابت به أمًّا وأنثى حريصة  
بنى لسليل الثور حرزًا، وليته  
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه  
وأقسم لا واق من الموت عنده  
وأهل من هول الخضارم في الدجى

\* \* \*

ويعرى مهاد الطفل رعي المؤدب؟!  
ومالكة حيرى، فلم يتهيب  
تلمس حرزًا من غوائل مغضب  
وضاجع أشجان المعنى المعذب  
ولا وائل من سخطه المتلهب  
ضراوة مهتوك وغيظ مخيب  
فلما تنادى الجند وارتجت القرى  
وقالوا: أمن رب الجزيرة حربه  
أهاب الصناع العبقري بفنه

\* \* \*

وخيف الأذى من حاضرين وغيب  
يوقيه عرض البحر أو طول سبب  
فلباه، فاستعلى به متن أشهب<sup>٩</sup>

<sup>٧</sup> متشابك ملتف.

<sup>٨</sup> المعقد المحكم.

<sup>٩</sup> الأشهب: الأمر الصعب، وقد يُطلق على الطير الجارح الأشهب.

تسربل من ريش وسربل نجله      خوافتق لوى بينها ألف لولب  
فحلق مزهواً وفر مظفراً      وأغرى لسان السخر بالمتعقب

\*\*\*

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا      فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟  
بلى! قد نجا لولا طماح سما به      إلى الشمس في ثوب من النار مذهب  
تعشقتها مفتونة فتقبلت      هواه بوجه صادق النور خلب  
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى      لنصح نصيح أو لزجر مؤنب  
وما هي إلا وثبة بعد وثبة      إلى الشمس حتى عزه كل موثب  
تعشقتها نازاً، فإن جاءه الأذى      من النار، فليعتب فلا حين معتب

\*\*\*

علا بدم حي وخر مضمخاً      به في جناحي أرجوان مخضب  
طريحاً على صخر تغشيه رغبة      من العيلم<sup>١٠</sup> الغضبان في غير مغضب  
وراحت بنات الماء يندبن حوله،      ومن ير أنقاض الصبا الغض يندب  
وما من عزاء للشباب علمته      سوى مدمع من أعين الحسن صيب  
إذا جال في حسبانه هان عنده      دموع ذراها<sup>١١</sup> الحزن من طرف أشيب

### عيد ميلاد في الجحيم

دخل شقي الجحيم، فحسبوه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام  
فاحتفل بعيد ميلاده، وقال لأترابه وأنداده:

صفوا الموائد واملأوا الأكوابا      وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا

<sup>١٠</sup> العيلم البحر.

<sup>١١</sup> ذرا الشيء: فرقه وبعثه.

## وحي الأربعين

قولوا مضى عام ليوم هبوطه  
وبلا المقام فراح يحمد شر ما  
هذا الجحيم أحب لي من عالم  
الشر ثمة كان شرًّا كاسمه  
يشقى بنوه ليعمره ويجشموا  
لا يعرفون الحق إن سمعوا به  
أهون بصابٍ في الجحيم أذوقه  
صائبًا إذا ارتوت الشفاه شربته  
ولرُبَّ وجه يومذاك شهدته  
وجه اللئيم إذا استهل ومثله  
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في

هذا الجحيم، فقر فيه وطابا  
فيه، وأدب<sup>١٢</sup> باسمه إيدابا  
ما كان لي إلا رجاء خابا  
والخير كان كما علمت سرابا  
فيه الشقاء ليرجعوه خرابا  
إلا ليلقوا في الحقوق عذابا  
قد كان ثمة كل شيء صابا  
بالناظرين، وساء ذلك شرابا  
فكأن سمًّا في العيون انسابا  
وجه الكريم إذا اضمحل وذابا  
بلواه يطرق كل يوم بابا

\* \* \*

يا صحب حيُّوا النار في ويلاتها  
ما كان من حسن هناك فجهده  
أو كان من فضل هناك فحسبه  
يا صحب هاتوا من علاقمها لنا  
من عاش عامًا في الجحيم فلا اشتهى

واحثوا على ذلك التراب ترابا  
أن يخذع الأبصار والألبابا  
أن يملأ الدنيا عليك صعابا  
وادعوا الأحبة واشربوا الأثخابا  
أبدًا إلى ذلك الجوار مآبا

هو وضميره

هو:

ماذا أقول؟ ظلمته وجدته  
حق الثناء، وإنه لعظيم

<sup>١٢</sup> أقام مأدبة.

ضميره:

قل إنه خير الأنام، وإنه عالي المقام، وإنه مهزومٌ

هو:

هيهات! أخسر ذلك المال الذي تدري مصادره، وأنت عليم!

ضميره:

لك أن تبوح إذن بباطن سره  
قل إن رب المال أثقل خاطري  
وتلوم من هو في الخفاء ملومٌ  
فكبا بحمل الصدق، وهو كظيمٌ

هو:

أفأنت خصمي يا ضمير؟ أناصح  
أتريد أفضح آجري<sup>١٣</sup> وأرتدي  
لي بالجنون؟ أهازل؟ أسقيم؟  
ثوب الصغار، فيبرح المكتوم؟

ضميره:

كيف الخلاص؟ إذن تنقص قدره  
قل إنك الرجل الغيور، وإنه  
لا ترتدي ثوب الصغار ولا تشي  
وتروح بين الناس صاحب سمعة  
وامسخ فضائله، ودعه يهيمُ  
قدم،<sup>١٤</sup> وإنك بالعقول رحيمٌ  
بالأجرين، وغيرك المحرومُ  
ينفضُّ حولك مسكها المختومُ

<sup>١٣</sup> جمع آجر.

<sup>١٤</sup> جاهل غبي.



هو:

أبدًا بتهوين الصعاب زعيمُ  
سأظل أقعد غاضبًا وأقومُ  
رَجَل الغيور! وحبذا التعليم!

بُورِكت يا هذا الضمير فأنت لي  
الآن فانهب «تستريح» فإنني  
أولست بالرجل الغيور؟ أجل أنا الرُّ

### كعبة الأصنام بعد الزلزال

زينة تأخذ قلب الصب تيهها  
والدمى مستعبدات صائغيها  
أو تماثيل تناجي عاشقيها  
كاد من صلى إليها يزدريها  
فتداعى، فبدا مسحًا كريها  
فاحتوته ظلمات غاب فيها  
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!

كانت الكعبة والأصنام فيها  
حفلت في كل ركن بالدمى<sup>١٥</sup>  
هي أصنام لمن يعبدها  
عظمت حينًا فلما زلزلت  
كان فيها صنم الحق نبيها<sup>١٦</sup>  
نزع الزلزال عيني رأسه  
وارتمت ساقاه في جانبه

\* \* \*

صاغي السمع، كما شئت، نزيها  
وسمات تزدهي من يجتليها  
ومضت كف بلا كف تليها  
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!  
حيث لم أبصر له قط شبيها  
واسع الصدر، يحييك وجيها  
عن حنايا صدره لا قلب فيها

كانت النخوة فيها صنمًا  
يخلب الطرف بحسن واضح  
فارتمت أذناه في الأرض لقي  
يطلب الغوث ولا غوث له  
والإخاء المحض كم أبصرته  
قائمًا يفتر عن مبسمه  
شقه الزلزال فانجاب لنا

<sup>١٥</sup> جمع دمية، وهي التمثال.

<sup>١٦</sup> النبيه: من النباهة، وهي الظهور والشهرة.

## قصص وأمثال

خير ما في وجهه ظاهره هل ترى داعيه إلا سفيها؟

\*\*\*

وتراءى الحب فيها فتنة ما اجتواها زائر من زائريها  
ضرب الزلزال في أصنامه فهوت أشلاؤها تنعى ذويها  
ما الذي أبقاه من أشلائها؟ سواءً يعرض عنها مشتئها

\*\*\*

وهوى تمثال مجد لامع يخطف العين بنور يعتليها  
ملاً الدار علينا جوهرًا زائفًا ينطق بالزيف بديها  
وقشورًا لا تساوي وزنها من تراب، لن ترى من يشتريها  
هي إن قامت جمال فإذا سقطت، لم تكد العين تعيها

\*\*\*

هكذا أقوت زوايا كعبتي وثوت خاوية من ساكنيها  
غير أنني طائف من حولها لم أشأ أهجرها أو أبتئها  
لا طواف المتملي<sup>١٧</sup> حسنها أو طواف المهتدي من عابديها  
بل كمن نقب في جوف الثرى يجمع الآثار في شتى سنيها  
من فراغ لا من الرغبة في تلكم الآثار، أمسى يقتنيها  
أو هي العادة كالطيف إذا هام بالأحداث يبكي نازليها

## بين الشاعر وعروس شعره

وكذبت أحلامي، وأشمت عذالي  
وهيهات لا تبقيين يومًا على حالٍ

كفى يا عروس الشعر خيبت أمالي  
إذا ما وعدت اليوم أخلفت في غدٍ

<sup>١٧</sup> تملى الحسن: نظر فيه واستمتع برؤيته.

يظل غريباً من أعارك سمعه وإن عاش أجيالاً عفت بعد أجيالٍ

\* \* \*

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي  
ملاكم فيه الحق، أو فيه بعضه  
إذا قلت زوراً فهو من صدق شيمتي  
إذا هزلت أُمي الحياة فهل ترى  
بحسبك من عذري إذا ما عدلتني  
أمانة تمثيلي، وروعة تمثالي!

### إبليس ينتحر

الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين لأنه جو الخوف والإغراء، وإبليس يخاف  
أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء:

هاتوا لي الخير والهدى جرعاً  
حرية القوم أفسدت خدعي!  
إن مُنِعت لذة حفزت لها  
أو حجبت شهوة أزينها  
وإن طغى ظالم له خنعوا  
لو دام هذا البلاء واتسعت  
واستغنت الأرض والسماء معاً  
ما حاجة الأرض للأبالس في  
وكيف تغذوهم بلا عمل  
وأين يأوونها إذا قشعت  
أتى زمان أموت فيه أنا

أبضع نفسي حزناً كمن بخعا  
لم تبق لي في الأئيس منخدا  
فكيف حفزي من لم يكن مُنِعا؟  
فكيف تزيين ظاهر سطعا؟  
فكيف يطغى إن عز من خنعا  
حرية القوم ضاق ما اتسعا  
عن الشياطين فانطوا جزعا  
عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟  
وهي على السعي شأنها اجتماعاً؟  
عنها ظلام الدهور فانقشعا  
إبليس يأساً، وفي يدي صنِعا

<sup>١٨</sup> الخيم: الطبع والعادة.

قصص وأمثال

ودعت ملك الدنيا وودعني      ملك إذا هم قلماً رجعا  
هاتوا لي الخير جرعة فإذا      ضعفتُ عنه شربته جرعا  
سأسبق الموت حين يتبعني      فإنه لاحق إذا تبعنا



## وصف وتصوير

### خليج ستانلي أو حمام البحر في الإسكندرية

يا ويح قلبك من هدفٌ      صال المسدد أم صدفٌ  
بين الملاح المفرغا      ت من الأشعة والسدف<sup>١</sup>  
سمر كما اسمر الجنى<sup>٢</sup>      بيض كما ابيض الصدف  
كشف الخضم طلاءهن      ن، ولا حجاب لما كشف  
قف في سبيلك لحظة      وانس الشقاء وما اقترف  
حيث الخماص ولا طوى      حيث العراة ولا شظف<sup>٣</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدفٌ      بين البضاضة والهيْف  
«كوبيد»<sup>٤</sup> يعرض من سلا      حيه الفخامة والرهْف  
تلقى الطويلة كالقصيـ      رة، والسماحة كالصلف<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> السدف: من الأضداد، بمعنى الظلمة وبمعنى الضوء.

<sup>٢</sup> الفاكهة التي تُجنَى.

<sup>٣</sup> الخمصانة ضامرة البطن، والطوى الجوع، والشظف ضيق العيش.

<sup>٤</sup> رب الحب في الأساطير اليونانية.

<sup>٥</sup> الصلف الكبرياء.

وحي الأربعين

برق السحاب طوالها      وقصارها برق خطف<sup>٦</sup>  
والسهم يقصد<sup>٦</sup> إن جثا      رامي السهام أو اشترف<sup>٧</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدف      بين الأناقة والترف<sup>٨</sup>  
بل بين ألوان الربيع      مع قد اختلفن، وما اختلف<sup>٩</sup>  
ألقي لهن بقوسه      قزح، وأدبر وانصرف<sup>٩</sup>  
فلبسن من أسلابه      شتى المطارف والطرف<sup>٩</sup>  
وخلعن من ألوانه      تحفًا تنم على تحف<sup>٩</sup>  
عيد الشباب فلا كلا      م ولا ملام، ولا خرف<sup>٩</sup>

\* \* \*

يا ويح قلبك من هدف      بين الصغيرة والنصف<sup>٩</sup>  
ري لمن طلب الهوى      رِيًّا، ولذة من رشف<sup>١٠</sup>  
كالزهرة الحسناء أو      كالغصن في الروض العطف<sup>٩</sup>  
أن تعلم ما تجهلا      فلأنت تعلم ما التلف<sup>٩</sup>  
ولأنت تعلم ما الجوى      ولأنت تعلم ما الشغف<sup>٩</sup>  
الحب يرمي عنهما      يا ويح قلبك من هدف!

\* \* \*

يا ويح قلبك بين ذي      وطن بمصر وذي كنف<sup>١١</sup>

<sup>٦</sup> أقصده: طعنه فأصابه.

<sup>٧</sup> اشترف: وقف منتصبًا.

<sup>٨</sup> المطرف: الرداء، والطفرة: ما يُستملح ويُستظرف.

<sup>٩</sup> النصف: متوسطة السن.

<sup>١٠</sup> رشف الماء: مصه بشفتيه.

<sup>١١</sup> الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

ما بين شرقي جفا  
سل عصبه سكنت «جنيـ  
تدعين حرفتك السلا  
هذي الملاحة قربت  
دين الملاحة واحد  
حرم بميدان الحيا  
ما في جوانب بيته  
أو بين غربي عطف  
ف» تكلف بك أم كلف؟!  
م، وما السلام بمحترف  
بين الحدود، ولا جنف  
ترك المذاهب واثلف  
ة وملجأ لا يُعتسَفُ  
إلا طيبب أو دنف

\* \* \*

قف في عبورك غير مأ  
فإذا زهبت مولياً  
قال الجمال فلا تخف  
هذي المحاسن موسم  
جمعت لعينك ساعة  
ملأت خليج «ستانلي»  
بحر تتابع مده  
زمر تصباك الظمى  
وعنك من شمم هنا  
ورأيت معسول اللمى  
والشعر من شفق هفا  
والنور في بدر سرى  
فتن شهدت زحوفها  
مور، ومن يعبر وقف  
فازهب، فكم لك من خلف  
صدق الجمال وما حلف!  
أحيت مواسم من سلف  
وغداً تفرقها الغرف  
وطغت على أعلى الطنف<sup>١٢</sup>  
والبحر أعى من غرف  
منها وحياك الوطف<sup>١٣</sup>  
لك ما عنك من الذلف<sup>١٤</sup>  
قاني الشفاه له ازدلف<sup>١٥</sup>  
كالشعر من غسق رجف  
كالنور في رعد قصف  
كالجيش أهول ما زحف

<sup>١٢</sup> الطنف: ما برز من البناء.

<sup>١٣</sup> العين الظمياء: الرقيقة الجفن، والوظفاء: الغزيرة شعر الجفن.

<sup>١٤</sup> الذلفاء: الصغيرة الأنف.

<sup>١٥</sup> اللمى: سمرة في الشفة، وهي من الألوان المحبوبة قديماً وحديثاً، وازدلف: تقرب.



## وحي الأربعين

فهتفت «فليحي الجمال» وقد يعاقب من هتفًا!  
لهذي معارض صنعة لله تبهر من وصفًا  
حي الجمال كما بدا أو لا فدونك والجيفًا!

\*\*\*

يا ويح قلبك من هدف بين التعلل واللهف  
كم ذا رأيت، وكم طمعت، وكم قنعت ولا أسف  
أسرفت حتى قد عرفت القصد من هذا السرف  
ما زال يطمع من رأى ما زال يقنع من عرف

## مدينة الشمس

صدقوا! فأنت مدينة الشمس وهبتك من نور ومن قدس  
كم للنهار عليك مائدة من فيضه، كموائد العرس<sup>١٦</sup>  
تجد العيون بها كفايتها ويزيد حظ القلب والنفس  
لحسبت أرضك وهي مشرقة تفتت عن لمحات ذي حس  
بعض الضياء إذا نظرت به أغناك عن سمع وعن لمس<sup>١٧</sup>

## شمس أسوان

شمس أسوان في الشتا ء ارقصي أو تدرجي  
إنك الشمس صوّرت فوقنا للتفرج  
لا لدفاء كما ادعوا أو لتوضيح منهج!

<sup>١٦</sup> موائد العرس مشهورة بالمبالغة في السخاء.

<sup>١٧</sup> إذا شغل الضياء النفس لفرط بهائه وشموله أفعمها بالحس؛ فلا تلتفت إلى ما يُسمع ويُلمس.

## الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تشعُّ عليها من حياء الحسن درعُ  
إذا ما الماء جمشها تراءى لها خجل على الأعطاف بدعُ  
وما خجل الخدود وذاك جسم سنى الخجل المورد فيه طبعُ؟

## القمرء

كلما أشرق في الليل القمرُ  
وسها الناس ولاذوا بالحجرُ  
خِلْتُ أرواحًا تداعت للسمرُ  
زمرًا تهمس من حول زمرُ  
أن هذا الحسن لا يمضي هدرُ  
حينما أسفر نور وانتشرُ  
وحلا في خلوة الليل السهرُ  
فهنا لا ريب حس وبصرُ  
شيمة المسحور يقفو من سحرُ



## غزل ومناجاة

### مباراة في مزايا الشفاه

تبارت شفاه حباها الإله      بشتى المزايا، وشتى النَّحْلُ  
لأَيِّ الشفاه تجيب السماء      وأي الشفاه هناك الأُولُ

\* \* \*

فنادى جبابرة العالمين      نداء المدل بأمر جَلُّ  
لنا وحدنا صولجان العلا      ومنا الرجاء، ومنا الوجَلُّ  
إذا ما نطقنا توالت خطوب      وصالت شعوب، ودالت دُولُ  
وفي همسة تنجلي فتنة      وفي مثلها يتدانى أَجَلُّ  
ونادى العباقرة الملهمون      صحاح المعاني فصاح الجُمَلُّ  
لنا وحدنا جائزات الشفاه      إذا اختلفت سبلها في الجَدَلُّ  
فمنا الجمال، ومنا الهدى      ومنا العزاء، ومنا الجذَلُّ  
وبالنطق يكتمل الأدمي      وفينا تكامل حتى اكتمَلُ

\* \* \*

وأقبل سرب الأطباء الملاح      رخيم البغام<sup>١</sup> مليح الكحل

<sup>١</sup> البغاء أرخم صوت الظبي.

## وحي الأربعين

فقال وفي قوله لثغة      كأنك ترشف منها العسلُ  
لنا القول فيكم رجالَ الكلام      لنا القول فيكم رجالَ العملُ  
لمسنا شفاهاً ففاضت سنَى      وجرنا على جائر فاعتدلُ  
ومنا تذوقون طعم الحياة      وهل طعمها غير طعم القُبُلُ  
تسمونها قبلة واسمها      رحيق الخلود، وريًا الأملُ

\* \* \*

فأطرق ربهم لحظة      ونادى بأقربهم فامتثلُ  
وقبل مبسمه قبلة      تضرم منها مكان الخجلُ  
وقال: أجل! تلك أعلى الشفاه      فأصغوا، وقالوا جميعًا: أجلُ

\* \* \*

بذا حكموا بعد طول المطا      ل، فليسمعوا رأيي المرتجلُ  
إذا التمسوا مثلًا للشفاه      ه، قلت لهم شففتك المثلُ  
لثمت الحياة بلثميها      وعاودت بعد السلو الغزلُ

## المعاني الحية

أمواج حسن زاخره      تلك الوجوه الناضرة  
فتن على فتن وغا      مرة تليها غامرة  
طوفان نوح أنتم      ليت السفينة حاضرة

\* \* \*

يا جيرة البحر اقنعوا      منا بعين ناظرة  
ودعوا القلوب كليله      ودعوا القرائح عاثرة

\* \* \*

من كل وهاب لكم      نعمى هبات وافره  
خلع الإله عليكم      خلل الجمال الفاخرة

## غزل ومناجاة

والبحر نشوة خمرة  
والشمس ما تهدي الثما  
ورأيت رفرقة النسيـ  
فالأّن ماذا تنظرو  
لم يبقَ في كَنز الخيا  
برزت معاني الشعر في  
أنتم معانيه فما  
أنتم عرائسه وها  
هيهات، ما لممثل  
ما الترجمان وتلك أسـ  
فإذا بخلنا بالقصيـ

خمر البحار الكاسرة  
ر الناضجات الباكرة  
م على الجسوم الطائره  
نَ من النفوس الشاعره  
ل بقية من نادره  
ثوب الحياة الظاهره  
تغني النفوس الحائره  
تيك المسارح عامره  
أو شاعر من خاطره  
ررار التراجم سافره  
يد فعاذر أو عاذره

## غزل فلسفي: فيك من كل شيء

فيك من شمس الضحى العين التي  
فيك من بدر الدجى أحلامه  
ترسل اللحم مضيئاً في الظلام  
حين يسري نائماً بين نيام

\*\*\*

فيك من كل ربيع طلعة  
والشتاء الجهم لا يعدوك من  
تذبت النضرة عاماً بعد عام  
عهده العاصف برق وغمام

\*\*\*

ما تغنى الطير إلا بعض ما  
وإذا الجدول ناغى نفسه  
أنت راويه، ولا ناح الحمام  
فهي أصدائك من غير كلام!

\*\*\*

وصنوف الوحش هل ناظرتها  
ولا انفتال الحوت تنساه ولا  
من نفار بينكم أو من وثام؟  
سطوبة النسر ولا خوف النعام

## وحي الأربعين

\* \* \*

فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحي إلا من ضرام؟  
والذي أرهبه وا أسفًا هجرك المدعو بالموت الزؤام!

\* \* \*

فيك من دنياك نقص رائق ومن الأخرى تباشير التمام  
ومن الأملاك طيب ورصًا ومن الشيطان غي وأثام

\* \* \*

ومن الخمرة سكرها إذا أسلست في النفس أو طاش الزمام  
ومن القوت غذاء، ومن الـ ماء ري، ومن الجوع هيام

\* \* \*

فيك من أرضك حظ وافر وحظوظ من سماء لا تُرام  
أجديد؟ إي نعم. قال الصبا أقديم؟ إي نعم. قال الوسام

\* \* \*

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام؟  
لا وربّي! بل دهور غبرت قبلما تتقنها الأيدي الكرام

\* \* \*

قبلما تتقنها الأيدي التي نسقت أنوالها، وهي حطام  
من وراء اللب صفاً ينتهي بعد صف، بين سدي<sup>٢</sup> ولحام

\* \* \*

<sup>٢</sup> السدي من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه.

## غزل ومناجاة

فيك من هندسة علوية ما استدار الخط فيه واستقام  
ومن الفن مثال بانح هو للمثال والشادي إمام

\* \* \*

فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموعود تؤام  
كيف بي أعدل إن أغنيتني أنت حتى عن شرابي والطعام  
إن نفوني اليوم من دنياهم وأباحوا لي من الزاد المرام  
ثم قالوا: ما تشأ منها فخذ! قلت هذا، وعلى الدنيا السلام

\* \* \*

قلت هذا، وتقدمت إلى هوة الغيب، وفي الثغر ابتسام  
كيف لا يبسم من قبلته تنظم الأوطار طراً في نظام؟!

\* \* \*

وإذا قبلته مستضحجاً في تخوم الكون، والكون سدام<sup>٢</sup>  
فهي سخري بالذي ودعته واغتباطي بمقامي حيث قام

## نصرة في الشتاء

يا نصرة في الشتاء أبصرها أبهج من كل منظر نصير  
كأنها والعيون تنهبها والنفس تروى بحسنها العطر  
ألف ربيع للعين مدخر بل ألف حب للقلب مختصر  
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعا من حسن شتى الرياض والغرر  
أضمه كله وأرشفه في قبلة كوثرية السكر

<sup>٢</sup> سدام: بمعنى ضباب.



## الشادن المتحيل

أشهدتني مكر الثعا  
وتركتني أرمي الشبا  
لا ألقينك بعدها  
فحآن أولى باقتنا  
لب في الغزال الأكل  
ك لقيء وأكسر مغزلي  
أبدًا بفتح أعزلي  
ص الشادن المتحيل

## القبلة

هي كأس من كؤوس الخالدين  
كلما أفرغتها منتشياً  
وإذا أمتعك الري بها  
قد شربناها معاً في ليلنا  
لم يشبها المزج من ماء وطين  
مُلئت من كوثر الخلد المعين<sup>٥</sup>  
بدأ الشوق إليها والحنين  
فروينا، وافترقنا ظامئين!

## حسرة متلفة

يا له من فم  
يا لشهد بها  
يا لزهر بها  
حلوة ويحها!  
حسرتي بعدها  
يا لها من شفة!  
كدت أن أرشفة  
كدت أن أقطفه  
غضة مرهفة  
حسرة متلفة

<sup>٤</sup> اللقي: الشيء الملقى والمطروح.

<sup>٥</sup> الماء الجاري في سهولة.

## الجملة والتفصيل

جُمِعْتُ محاسن في صباح تفرقت  
في صنعة الخلاق أي تفرق  
في الشمس، أو في الروض، أو في الطير أو  
في الجدول المترقرق  
فإذا نعمت بها لديك فحبذا  
نعماي في ظل الجمال الريق  
وإذا ضننت بها رجعت أرودها  
في حينما افترقت، ولما نلتق

## راووق النور

لا أرى الدنيا على نور الضحى  
هي كالراووق للنور فلا  
حبذا الدنيا على نور العيون  
صفو إلا صفوها العذب المصون

## النظرات تلتقي

نظرات العين في العين  
تلك أحلى ما حلمت به  
جمعت أشواق نفسيين  
من نعيم في الحياتين

## الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل  
لا بل الدنيا التي تو  
هكذا فليبسم البا  
أو فينسى البشر حتى  
لا يُلام العابس اليا  
وجهك الضاحك، لا بل كل جسمك  
مض نوراً حول نجمك  
سُم إن شاء كبسمك  
ينقل البشر، بلثمك  
ئس إلا بعد لومك

## إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرهما  
إلى الماء! لا بل إلى السابحيـ  
فليس على البحر إلا غريقٌ  
سواحره احتشدت كلها  
ففيمّ الوقوف على الساحلِ؟  
نَ، لا بل إلى الغرق العاجلِ  
وإن لم يكن فيه بالنازلِ!  
علينا. فيا ويح للغافلِ

## لست بلحم ودم

رائعٌ يخطر في مشيته  
لم يرُعني حينما أبصرتهُ  
ما قضيت العمر إلا حالماً  
أنت وهُمّ لم تزل في خاطري  
خطرة الطَّيف لمن لم ينمِ  
حلمًا تم تمام الحلمِ  
كيف بالروعة من ذي قدمِ  
لست يا صاحُ بلحم ودمِ

## مائدة

مائدة أسرف في طهيها  
أكرمنا الطاهي بها ساعة  
حسن وأنس وحياء معاً  
مدت لنا طوعاً فما عذرنا  
عشرين عاماً عبقرى الزمانِ  
فكيف بالمكرم يلقي الهوانِ  
وظلعة البدر ونفح الجنانِ  
إذا تركنا لقمة في الخوانِ<sup>٦</sup>

<sup>٦</sup> الخوان: ما يُوضَع عليه الطعام.

## يوم مزيف

لك وجه كأنه طابع الصدِّ      قِ على صفحة الزمان المأوفِ<sup>٧</sup>  
إن يوماً يمر بي لا أراه      هو يوم أعده في الزيوفِ

## سعادة في قمقم

هنا قمقم سابح في الدمِ      أسائل عنه، ولم أعلمِ  
جهلت خباياه حتى أتى      عريف الطلاسم بالمعجمِ<sup>٨</sup>  
ففيه كما قيل مسجونة      سعادة بعض بني آدمِ  
تجن جنوناً بنور الضحى      وتذبل في حبسها المظلمِ  
وقد زعموا أن إطلاقها      رهين بهمسة ذاك الفمِ  
بسر على شففتي فاتن      يُباح إلى شففتي مغرمِ  
فهل أنت مطلقها منعماً      فديتك، أم لست بالمنعمِ  
وما أنا بالمشتهي قبلة      ولا بالحريص على مغنمِ  
ولكنما أنا أبكي أسى      لتلك الشهيدة في القمقمِ

## خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليكِ      أنني لا أعود ما عشت أبكي  
لا يساوي — وقد تعلمت منك —      نسل حوائك دمعة شكِّ  
خير ما في النساء ساعة ضحكِ

<sup>٧</sup> المأوف: المصاب بأفة.

<sup>٨</sup> المعجم الكتاب الذي يفسر الغريب والمشكل.

## زهرة لا تذبل

في الصيف يزكو عند مس السمومُ      أجل، ويزكو عند مس الشتاء  
خدك هذا أي نبت يدومُ      ريان في كل أوان سواء؟  
يا ويلتا من نبت هذي الكرومُ      فالجوع موصول بذاك النماء  
وهل ترانا كل يوم نصومُ؟

## ليلة البدر

هاتِ لي الذكرى وجدد ما مضى،      عندك الذكرى ورُجعاها معا  
هاتِ ما كان كما كان انقضى،      أو فجدد غيره مبتدعا  
ليلة البدر، وقد كان الرضى      موعد الأهرام نبغي مطلععا  
فقضى الله سواه غرضا

\*\*\*

قد نوينا ونوى الغيب لنا      نية أمتع للمستمع  
خسف البدر وأمسيت أنا      أدعي من نشوة ما أدعي  
كلما ناديتني هيا بنا!      قلت: هيا! وأنا في موضعي  
السنا عندي فما لي والسنا؟!

\*\*\*

خُسف البدر وما كان الخسوفُ      شيمة البدر الذي بين يدي  
نُشر الناس وطافوا بالدفوفُ      وأنا والبدر في نشر وطي  
خلُّ من شاء كما شاء يطوفُ      إن بدري طالع منه إلي  
لا أحب البدر ترعاه الألوفُ

\*\*\*

يا سمير الليل يا نغمَ السميرُ      ما لنا والصبح ما دمت أراك  
أنا في نور وروض وعبيرُ      حينما ألقاك لا ألقى سواك

## غزل ومناجاة

رشفة من ثغرك العذب النضيرُ      أو من الكأس احتوتها شفتاكُ  
وسلام أيها الكون المنيرُ!

\* \* \*

هاتِ لي من فيك أنفاس الغرامِ      أو فقل إن شئت أنفاس الحياةُ  
واسقني الخمرة من أعذب جامٍ      لا من البلور في أيدي السقاةُ  
ثغرك الضاحك كأس ومدامٍ      ونديم لي، وراوٍ في الرواةُ  
ينشد الشعر فيشجيني الكلامُ

\* \* \*

ينشد الشعر جديدًا كالصبا      وأنا ناظمه منذ سنينُ  
بث فيه من صباه عجا      فإذا قلت ارتجال لا تمينُ  
هاتِ لي الحسن وهاتِ الأدبا      واسقني الخمر من الثغر المبينُ  
ذاك حسبي في زمني مطلبًا!

## أشعب الأهواء

كلما أمسيتُ في وكري      قلت: يأتي! كيف؟ لا أدري  
أمل غطى على فكري      فهو ذنبي فيك أو عذري

\* \* \*

لم تزرني غير مصطحبٍ      كيف أرجو قرية القربِ؟  
أشعب الأهواء غرر بي      فرجوت الصدق في الكذبِ

## حجاج وروما

آل روما لكم منَّا الولاءُ  
وسلام كلما ضاء لنا  
في حماكم كعبة ترمقها  
كعبة لا كالتى يعمرها  
من حياة هي لا من بنية  
كرمت روما وذكرها بها  
نزلت ثم حجيجًا داعيًا  
وهي أولى بحجيج ودعاء

\* \* \*

قبلتي يا «حُسْنُ» من ذاك الحمى  
ورجائي اليوم في مغربها  
سلمت روما التى أنت بها  
وكساها لك نسّاج الربى  
وجلاها لك من يجلو لنا  
والذى أولاك من أنعمه  
ليت شعري كيف ألفت بها  
أترين اليوم فيها عجبًا  
وبنو الرومان هل هم بدعة  
أحسب الأيام بحرًا واحدًا،  
من يرَ النفس من الباطن لا  
من يرَ الفن خيالًا فله

أنت لا القبلة من ذاك البناء  
وجهك الباسم لا وجه ذُكاء<sup>٩</sup>  
وسرى يُمنًا بها ساري القضاء  
كل يوم زينة شتى النماء  
بشعاع منك آفاق الرجاء  
بهجة النورين: حسن وذكاء  
سيرة العصر وذكرى القدماء  
أم قديمًا كل يوم في رداء؟  
أو هم الناس رياءً في رياء؟  
ما اختلاف الموج فيه والهواء؟  
يحفل الظاهر في الدور القواء<sup>١١</sup>  
بالرؤى<sup>١٢</sup> عن نظرة العين غناء

<sup>٩</sup> الحنيف: المتمسك بالدين.

<sup>١٠</sup> اسم من أسماء الشمس.

<sup>١١</sup> الخراب والفقر.

<sup>١٢</sup> جمع رؤيا وهي الحلم، والمعنى أن الذي يدرك جمال الفن بخياله لخليق أن يشعر بمتعة الفن دون حاجة إلى الصور التى تمثله للعين.

## غزل ومناجاة

بيد أن النفس من عاداتها      تخلق الأشباح في كل فضاء  
وتحب الظل حيناً والصدى،      وأصول الظل فيها والغناء<sup>١٣</sup>

\* \* \*

أنت في روما وفي مصر أنا      بعدت شقتنا لولا النجاء<sup>١٤</sup>  
بيننا جيرة نور ساطع      فوق رأسينا، ونور في الخفاء  
أرقب البدر إذا الليل سجا      فلنا فيه على البعد لقاء  
وأورد الشعر في مثل الكرى      فإذا فيه من الطيف عزاء<sup>١٥</sup>  
حلم الصادي<sup>١٦</sup> فمن يوقظه      وعلى فيه من الماء شفاء  
أنت يا «حُسْنُ». وهل أنت سوى      حلم في يقظة القلب أضاء؟!<sup>١٧</sup>

## الأزاهير الآدمية

الأزاهير في الشجر      لا اختلاف ولا صُور  
والأزاهير في الغرر<sup>١٧</sup>      حيرة القلب والبصر  
بينها الزهر والثمر      بينها الشمس والقمر  
بينها التبر والدرر      والمصابيح والشرر  
عين يا عين لا نظر!      ها هنا! ها هنا الخطر

<sup>١٣</sup> المعنى هنا استدراك على البيت السابق، وفحواه أن النفس تعودت إذا هي شعرت بالعاطفة أن ترى لها ظلًا مصورًا وتسمع لها صدًى مترددًا، ولا يغنيها عن الظل والصدى أنها هي تشتمل على أصول هذه الظلال والأصداء، وهي العواطف.

<sup>١٤</sup> النجاء: هو المناجاة أو المسارة.

<sup>١٥</sup> الشعر يستحضر الأظلياف كما تستحضرها الأحلام، فالشعر من هنا شبيه بالكرى.

<sup>١٦</sup> الظمان.

<sup>١٧</sup> جمع غرة، وهي الطلعة والوجه.



## عيد ميلاد

كان الأقدمون يحتفلون بانتقال الشمس في الموعد الذي اختاره المسيحيون لإحياء مولد السيد المسيح بعد ذلك، وكلا هذين الموعدين يوافقان يوم الميلاد المعني في القصيدة التالية:

أقبلت والشمس والمسيحُ      في مولد واحد، سواءً  
في وجهك المشرق الصبحُ      هداية الحق والضياء

\* \* \*

تهيأ الكون من قديمٍ      ليوم ميلادك السعيد  
فعابد الكوكب العظيمِ      أحيا ببشراك يوم عيد  
ومولد «السيد» الرحيمِ      وافقه المولد الجديد  
يوم تهدي على المديحِ      وزفه الخلد بالثناء  
فالدهر في عمره الفسيحِ      عوده البشر والدعاء

\* \* \*

النور والحسن واليقينُ      تحتفل اليوم في مكان  
إحدى وعشرين من سنينُ      قد تم في أوجها القرانُ  
ثالوثكم تم بعد حينُ      فليمض ما شاء في أمان  
وليتهف المنشد الفصيحُ      بالحمد في العيد والغناء  
كلاهما مغنم ربيحُ      لعاشق الأرض والسماء

## لو كان إلهاً

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيته:

لو كنت إلهاً لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار، ولأعطيتك  
الملئك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي، ولأعطيتك الهيولى وما في

أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين؛  
ابتغاء قبلة واحدة.

وسُئِلَ صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها؟»  
فقال:

أعطيك؟! كيف وما العطاء بخير ما  
بل لو غدوتُ كما اشتهيتِ وأشتهي  
فترين أنك حين فزتِ بخطوتي  
وتسيطرين على الصروف، وفوقها  
إن كان رب الكون عندك قلبُه  
ويكل شمس في السماء وضيئة

تبدي القلوب من الغرام الصادق؟!  
ربِّا، أخذتكِ أنتِ أخذ الوثائقِ  
أحلى وأكمل من جميع خلائقي  
نبضات قلبي المستهام الوامقِ  
أهونُ لديكِ بأنجم وصواعقِ  
ويكل بحر في البسيطة دافق!

### حرمان أو عطاء؟

مائدة كم بت أشتاقها  
أرحنتني منها، فقد عفتها  
فيا زماناً جاد لي منعماً  
إن تطلب الشكر على راحتي

ألقيت في صفحتها بالذبابِ  
فليس فيها مورد مستطابِ  
بالضن، أو أسعدني بالعذابِ  
ما أجدر اللوم بذاك المصاب!

### أيعشقون؟

أيعشق الناس يا حبيبي؟  
إن لم يحبوك يا حبيبي  
ما الحب لولا هواك إلا  
أحبيتُ حتى حسبت غيري

هيهات! بل تكذب العيون  
واعجباً! كيف يعشقون  
رجم الأساطير والظنون  
إن ذكروا الحب يقتدون

## معرفة متأخرة

بعد سبع من السنين وعشر  
عرفوا أي نعمة زارت الأُرَّ  
عرفوه لما رأوا بينهم شمـ  
عجبوا كيف فاتهم يوم وافى  
ذاك ميلادك السعيد هنيئًا  
عرف الناس فضل ذا الميلادِ  
صَّ بأضعاف حسنها المرتادِ  
سأَّ مع الشمس أشرقَتْ في البلادِ  
فرعَوْا عهده بذكر معادِ  
للذي فاز فيه بالإسعادِ

## ماذا عليه؟

ماذا عليه إذا استوى  
هذا القوام جماله  
أنى تمايل عطفه  
أشتاق بعض نفاره  
وإذا التوى ماذا عليه  
مهما تعسف، في يديه!  
مالت جوانحنا إليه  
شغفًا برؤية صفحتيه

## ملتقى الربيع

هاتِ الربيع الغض لي كله  
إن فاتني جمع أزاهيره  
في روضة، بل طلعة، بل شَفَه  
في قطفة، فالرأي أن أَرشَفَه

## نبضات جديدة

خفقات تلك من وزن جديد  
ذلك الوجه، وما العهد بعيداً!  
أيها القلب! فأسمعني صدائِ  
أنت تهواه فلا تنكر هواك

\* \* \*

أنت تهواه وتسعى بي هنا  
لا تراوغني وقل هيا بنا  
كل يوم بعد يوم كي تراه  
في صريح القول، نستجلي سناه

\* \* \*

تحسب الرقة فيه ألمًا      فإذا أنت من الوجد تذوبُ  
لا يكون الحب إلا هكذا      أنا لا أجهل أسرار القلوبُ

\* \* \*

كاصفرار الشمس في ثوب الغروبُ      واصفرار العاج في ثوب القدمُ  
ذلك اللون نسميه الشحوبُ      وهو في الحسن شفيح للسقمُ

\* \* \*

رحمة للقلب من ذاك الوجيبه      صيغ من دَوَّبِي حنان وحنينُ  
كلما رفرفت بالعين عليه      شبه الفرحان عندي بالحزينُ  
إن أشأ قلت خيال في الكرى      أو أشأ قلت عيان لا خيالُ  
جمع الأمران لي فيما أرى      حين صح الحلم في خير مثالُ

## سنة جديدة

أدركنا موكب السنينُ      في موكب الحب سائرينُ  
والحب من يغش ركبهُ      يساير النجم كل حينُ  
راجع حساب السنين يا      نجم، فما نحن حاسبينُ  
أبالألوف احتسبتّها؟      أم لم تزل تجمع المئين؟!

\* \* \*

يا سنة أقبلت لنا،      أقبلت ميمونة الجبينُ  
وداعنا فليكن غدًا      كما التقينا ... أتسمعين؟  
في موكب الحب نلتقي      وفيه نمضي مودعينُ



## قوميات واجتماعيات

إلى المحسنين

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال السنوي الذي أقامته جماعة الإحسان بطنطا في سنة  
:١٩٣٠

يا جيرة الإحسان والمحسنين  
من يسمع الملهوف حق له  
من عين شمس جئتكم ناهلاً  
لا بل يراها كل قلب رأى  
يا حسنهما من نير مرشد  
يا جيرة اليأس بنور اليقين  
لبيكم! لبيكم! أجمعين  
— لا ريب — أن يسمعه السامعون  
من عين شمس لا تراها العيون  
ظلم الرزايا، وظلام الشجون  
في حيرة اليأس بنور اليقين

\* \* \*

حييت في محفلكم إخوة  
مريمكم أخت لعيساكم  
تعددت أديان قصادكم  
كونوا لمن ليس له شافع  
للطفل، من للطفل في ضعفه؟  
هما رضيعا رحمة ثديها  
لا خير في الدنيا ولا أمنها  
كلاهما عنوان ما عندنا  
بناتها في الخير صنو البنين  
وكلكم آمنة أو أمين  
وما لكم في برهم غير دين  
في هذه الدنيا ولا من معين  
للشيخ، من للشيخ حاني الجبين؟  
لا يفطم الأبناء فطم السنين  
إن لم يكن هذان في الأمنين  
من نصرة للعيش أو للمنون

\* \* \*

أقوى بني الإنسان في بأسه      من يرحم الضعف ويأسو الحزين  
من يصرع الجبار دون الذي      يصرع جبار الشقاء المكين  
ذاك العدو المستطير الأذى      في حاضر العهد وماضي القرون  
هيا اصرعوه سرعة من يد      رقيقة المس و صدر حنون  
فالمجد في تجفيف دمع جرى      لا في دم تجريه حرب زبون<sup>١</sup>

\* \* \*

يا غارسي الإحسان في «طننتا»      ما خصبكم فيها بماء وطين  
دوحتكم في أرضها أثمرت      ما تثمر الجنة للمتقين  
ظل ظليل، وجني رحمة      ريان يوتي أكله كل حين  
أحسنتم بدءاً وأحسنتم      عوداً، وعقبى الصبر للمحسنين  
وكان منكم كل خير لها      وحبذا من بعده ما يكون

### إلى غاندي يوم إفتاره

غاندي لك النصر المبين على المدى      ولشائئك الخسر والخذلان  
لم ألق قبلك من يحرر قومه      وهو السجين الجائع العريان  
بالجوع والحرمان تصلح أمة      أخنى عليها الجوع والحرمان  
خذ من قرارة دائهم لدوائهم      بعض السقام من السقام ضمان  
ومن العجائب أن يُقدّس بينهم      بقر السوام ويُلَعَن الإنسان  
عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم      بعض الجزاء، ومن أهان يُهان

<sup>١</sup> الحرب الزبون: الشديدة التي يدفع بعضها بعضاً من الكثرة.

فاشفع لنقص القوم عند كمالهم فكذاك تغفر ذنبها الأوطان<sup>٢</sup>

## عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠:

ربح الشّامَ أعامر أم خالٍ  
إنني لأرجع بالسؤال أطيله  
سكتوا وأقفرت المنازل منهم  
بُورِكتَ من وطن يجل شهيده  
وطن تضيق الأرض عن أبنائه  
يستبدلون الخافقين ببضعة  
ذهبوا بأفئدة تفرق شملها  
اليوم عيدك عيد الاستقلال  
لو يملك الشهداء رجوع سؤالي  
إلا منازل من صوّى<sup>٣</sup> ورمالٍ  
في حيثما ألقى عصا الترحالٍ  
وإليه موئلهم مع الآمالِ  
منه، وما قنعوا بالاستبدالِ  
شيّعاً، وما فيهم فؤاد سالٍ

\* \* \*

يرتاد راحلهم وخلف ركابه  
يصحو على «الشاغور» من لبنانه  
وتهزه من «عشتروت»<sup>٤</sup> خميلة  
وتليه من وادي العرائش نسمة  
أنى استقر وحيث سار هفا به  
أين السلو؟ ولا سلو لعابر  
حلم يبببت به مع الحلالِ  
وينام من «بردى» على السلسالِ  
تلتف بين جداول ودوالِ  
سكرى الضحى رفاقة الأصالِ  
همس من الجيل الأشم العالي  
فيه، فكيف بمولد وفصالِ

<sup>٢</sup> الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها، وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع في غفران سيئة. أما الوطن

الذي لا غفران له فهو الوطن الذي لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربو عليها.

<sup>٣</sup> الصوى: القبور والحجارة التي تتخذ دليلاً على الطريق.

<sup>٤</sup> هي قرية شتورة الحديثة فيما يقال.



\* \* \*

هذي مواطنتكم وتلك قلوبكم  
ما في المدامع من شعار كنيسة  
فيمَ اختلاف مصفدين تضمهم  
أمنازعون على السماء وأرضكم  
كونوا - ولا نصح لجيل نبوة -  
من بعلبك خذوا المثال لرأيكم  
فيها لموسى والمسيح وأحمد  
وُشِجَت ° على الأهواء والأهوال  
يوم الحنين، ولا شعار هلال  
- قبل الوفاء - سلاسل الأغلال؟!  
نهب لكل منازع وموالم؟!  
في العالمين هداية الأجيال  
يوم الخلاف، وتلك خير مثال  
أثر، وللوثن القديم البالي

\* \* \*

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه  
ماضٍ بأمثال التجارب حافل  
لا تلهينكم الهموم بحاضر  
إن الحقائق في الحياة تجمعت  
بيتوا على أمل وطيب تذكر  
لا يستقل القوم في آمالهم  
نعم البشير لكم بالاستقبال  
ومن التجارب حكمة الأمثال  
مر الحوادث فيه مر خيال  
ما بين سابق سيرة أو تال  
تجدوا الحوادث منكم بمنال<sup>٦</sup>  
إلا استقلوا بعد في الأفعال

\* \* \*

يا جيرة الوادي تحية أمة  
لو بيّن الوادي القديم لقالها  
إنا بنو وطن تقرب بينه  
الشمس تجمع في المطالع بيننا  
ومعالم التاريخ في كتب وفي  
وقفت تحيتها على الأبطال  
كلمات صدق من لسان الحال  
سيناء في قدسية وجلال  
والأرض في حرم الجوار الغالي  
عقب، وفي نصب، وفي أطلال

<sup>٥</sup> اشتبكت.

<sup>٦</sup> الحاضر ملك لمن كان له أمل قوي في المستقبل وذكرى وثيقة للماضي.

ولسان صدق في اللغات تألفت  
شكواكم شكواي، أو سلواكم  
ومطالب الغازين في بيدائكم  
فخذوا التآسي من مؤسي نفسه  
وخذوا التهاني من مهني نفسه  
فيه القلوب تألف الأقوال  
سلواي، أو أشغالكم أشغالي  
كمطالبي، ومآلكم كمآلي  
فيما يطيف بكم من الأوجال  
بغد يطالعكم بالاستقلال

### على قبر سعد

خلا قبر سعد مثلما كان بيته  
أمرُّ به في كل يوم وربما  
خلا منه حيناً ثم آواه رحبُهُ  
مررت به يوماً وفي القبر رُبُهُ

اكتفينا بما تقدم في هذا الباب، ولم ننشر فيه القصائد التي نُظمت في المناسبات  
المصرية رعاية لعهد الائتلاف.



## فكاهة

### كفاية!

إن تغض عينك من تيه فلا عجب  
أنت الذي تطلب العينان رؤيته  
إنا هنا اثنان أمسينا، وفي نظري  
عيناي ضاعفتا في حسنك النظرا  
فأغض تيهًا كما أحببت أو خفرا  
بلاغ إلفين! فاترك لي أنا السهرا

### مفاخرة

أمسيت تفخر بالشباب وتزدهي!  
فالآن أجزيك الفخار بمثله  
عشرون عامك هذه ألقى بها  
فافخر، وألقِ بها كما ألقيتها  
وظفقت تنشر ريشه وتخايلُ  
وأقول، والإنصاف ما أنا قائلُ  
طوعًا، وعندي بعدُ عمر كاملُ  
ماذا تكون؟ وأنت منها عاطلُ!

### ناسخ النور

قد نقص النور ولم ينطفئ  
فعوضوا الدار وزيدوا بها  
وراقبوا «العداد» تحصوا به  
لكن وجه الشؤم قد لاحا!  
على ثريا النور مصباحا!  
كم فاض من شؤم وكم ساحا

## حديقة حيوان آدمية

هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يُلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات. وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان:

أورفيوس الفن سَوَّى بينها	فتلقى الدب فيها والقروذ
وتغنى فرس البحر بها	يا له من فرس طلق النشيد!
ومشى الأرنب والحوت لها	صاحبا القاعين من لج وبيد
وتأخى الجدي والضبع وما	بين هذين سوى الثأر اللدود
وجرى «السيسي» فيها شوطه	وهو ناهيك بسيسي عنيد
ولغا «البطريق» <sup>١</sup> فيها لغوه	وهو من قطب جنوبي بعيد
وكأني بالزرافى <sup>٢</sup> اجتمعت	وحمير الوحش منها في صعيد
وأوى السنور والجرو إلى	نمر فيها، على غير الوصيد <sup>٣</sup>
والسلحفاة تجاري عندها	أرنب البيداء والكلب الصيود
فتحت أقفاصها واختلطت	لا سدود، لا قيود، ولا حدود
حيوانات نماها آدم	وهي من أبنائه نسل فريد
حيوانات ولكن بينها	كل ذي لب سماوي رشيد
أورفيوس الفن سوى بينها	فاستوى المنشد فيها والمعيد

<sup>١</sup> هو الطير المعروف في اللغات الإفرنجية بالبنجوين.

<sup>٢</sup> جمع زرافة.

<sup>٣</sup> الوصيد: العتبة، وفي البيت إشارة إلى الآية: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

## معنى طازج!

ر، أو نكهة العنب الناضج  
لأنبأت عن صدقي «الطازج»!  
تنشقت من فيك عطر الثما  
فلو قلت «أطعمتني» قبلة

## الحب السريع

سألت: ما بالهم قد تركوا  
قلت: هل دام غرام بينهم  
سنرى العهد الذي يروي لنا  
غزل العشاق في الشعر الجديد؟  
ريثما يُفَرِّغ من نظم القصيد؟  
كل عشرين غراماً في نشيد!

## زهرة القبح

من رأى زهرة الجمال فهذي  
طلعة الشؤم من رآها يخلها  
زهرة القبح أسفرت تتحدى!  
خُلِقَتْ من وجوه سبعين قردا

## رثاء كلب

حزناً على كلبٍ طاهرٍ  
تشابها في خليقة  
وربما عيَّ طاهر  
فليس يوفيه حقه  
إلا إذا بات نابحاً  
وعوو، عووو. بلا وني  
فإنه طاهر الكلاب!  
واتفقا - شيمة الصحاب  
وكلبه حاضر الجواب  
من اكتئاب أو انتحاب  
نبج المساعير في الخراب  
ولا انقطاع ولا اقتضاب

<sup>٤</sup> هو الأديب محمد طاهر الجبلاوي.

\* \* \*

لا تسألوا رحمة له      قد رحم الله واستجاب  
لعله مات قانطاً      من «أزمة» الأكل والشراب  
منتحراً في شبابه      وهكذا يفعل الشباب  
أراحه الله من ضنني      أنقذه القبر من عذاب  
فليحمد الله ربه!      من جاع فليرض بالتراب

### كلب ضائع أو ديوجين الكلبى

أمست كلابك شتى      وأنت يا صاح أنتا  
كلب نجا وهو حي      وآخر فر ميتا  
ما بين تارك دنيا      وتارك لك بيتا  
قل لي بربك ماذا      على الكلاب جنيتا  
حتى «ديوجين»؟<sup>٥</sup> قل لي      يا شيخ ماذا صنعتا  
والله ما كان أبى      لو صادف الخبز بحتا  
أو جدت يوماً عليه      فصادف الأدم زيتا  
زعمته راح يهوى      من قومه الغر بنتا  
لا تلزم الحب ذنباً      من الصيام تأتى  
فاحمل رغيماً تجده      في أي صوب نظرتا  
مصباحه<sup>٦</sup> ليس يجدي      فلا تضع فيه وقتا  
أنعم به من حكيم      إلى ديوجين متا  
رأى السلامة حقاً      ومن رأى الحق أفتى

<sup>٥</sup> ديوجين الكلبى: فيلسوف يونانى. وقد سُمي الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس، ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية.

<sup>٦</sup> كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً في النهار يفتش به عن رجل فلا يجده.

حظ بصير

إذا كان حظ الناس أعمى فإن لي  
على الغيب حظًا لا يزال بصيرا  
يظل يحاشي كل خير كأنه  
يحاذر فحًا، أو يرد مغيرا





## متفرقات

### إهداء الكتاب

نظمت هذه الأبيات في إهداء كتابي عن علي بن العباس المشهور بابن الرومي إلى جراح مصر الكبير علي إبراهيم باشا:

يا جاعل الطب فنًّا	من الفنون جميلا
ويا أمينًا حفيظًا	على الحياة وكيلا
هذي حياة أديب	للفن كان رسولا
يا رب معنى نبيل	كساه لفظًا نبيلًا
كالروح تكسوه جسمًا	غض الإهاب صقيلا
علي هذا علي	يرجو لديك قبولا

### المثاني في مشروع القرش

كن قطرة من سحاب مثمر غدق	ولا تكن ذرة من رمل صحراء
ولا تقل هان «قرش» أنت باذله	ما مصر؟ ما النيل؟ لولا قطرة الماء

\* \* \*

## وحي الأربعين

أَيُّصُولُ بِالسَّيْفِ الْكَمِيِّ<sup>١</sup> وَنَحْنُ لَا نَدْرِي الصِّيَالِ بِمَغْزَلٍ وَبِمَنْسَجٍ  
بِالْأَمْسِ كَانَ عَقِيمَهُمْ مِنْ لَمْ يَلِدْ وَأَرَى الْعَقِيمَ الْيَوْمَ مِنْ لَمْ «يَنْتَجِ»

\* \* \*

الشَّبَابِ الْيَوْمَ يَسْتَأْذِبُكُمْ دَرَهْمًا فَرْدًا فَأَدُوهُ الْحَسَابُ  
إِنْ مَصْرًا كُلِّهَا فِي غَدَا هِيَ مِيرَاثُ مَصُونٍ لِلشَّبَابِ

\* \* \*

كُنْ صَانِعًا أَوْ لَا فَلَسْتَ بِصَانِعٍ شَيْئًا وَلَسْتَ بِدَافِعٍ مِنْ يَعْتَدِي  
وَابْذُلْ زَهِيدَكَ لِلصَّنَاعَةِ تَجْتَمِعُ لِبَنِي بِلَادِكَ ثَرَوَةٌ لَمْ تَزْهَدْ

\* \* \*

أَوْجَهُ نِيِ الْوَجْهَيْنِ فِي الْوُجُودِ قَرَشٍ عَدِيدٍ مِنْ أَبٍ وَحِيدٍ  
قَوْتَهُ لِلْوَطَنِ الْمَعْمُودِ أَقْوَى مِنْ الْعِدَّةِ وَالْعَدِيدِ

\* \* \*

أَرَى الْقَرَشَ أَصْبَحَ ذَا قِيَمَةٍ وَإِنْ صَغُرُوهُ وَإِنْ حَقُرُوهُ  
يَتِيهِ بِوَجْهَيْنِ مِنْ حَسَنِهِ وَتَأْتِي مَنَافِعُهُ مِنْ وَجُوهُ

## الشهرة العوراء

دَعِ الشَّهْرَةَ الْعُورَاءَ تَقْتَادُ غَافِلًا عَلَى حَكْمِهَا يَجْرِي، وَإِنْ طَاشَ أَوْ ظَلَمَ  
إِذَا الدَّهْرُ لَمْ يَعْرِفْ لَذِي الْحَقِّ حَقَّهُ فَلِلدَّهْرِ مَنِي مَوْطِئِ النَّعْلِ وَالْقَدَمِ  
إِذَا جَازَ بَيْعَ الذُّكْرِ فِي شَرَعِ أُمَّةٍ فَلَا كَانَ مِنْ ذَكَرٍ وَلَا كَانَتْ الْأُمَّةُ

<sup>١</sup> الكمي: لابس السلاح أو الشجاع.

## عتاب وطن

جوزيت من وطن يبكي الوفي به  
لقد شقيت على كره وموجدة<sup>٢</sup>  
وما بكى خائن فيه وإن جارا  
وهان ذلك لو لم تشق مختارا

## نعي كاذب

لقد كذب الناعي وأنعم بكذبه  
فزعت الخطب الموت، والموت واحد  
فلا صدق الناعون يوماً، ولا همُّوا  
فكيف احتمالي فيك موتين يا أمُّ

## إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته:

غاية الحي ساعة من زمانه  
طُوِيَتْ صفحة السباعي فينا  
ينتهي عندها مدى جثمانه  
وهو طاوي الطروس في تبيانَه  
مسمح النفس في الحياة تولى  
لم يطاقن لصرعة الموت رأساً  
من صراع الحياة لهو رهانَه<sup>٣</sup>  
من جني دهره ومن إنسانَه  
ضاحكاً من كرامه وهجانَه  
ر فأودى بقلبه في افتنانَه  
فتنته غواية الأدب الحرُّ

<sup>٢</sup> الموجدة: الغيظ والألم. والمعنى: إن الشقاء الذي يصيب الوطن كرهاً وقسراً قد يهون في جانب الشقاء الذي يجنيه الوطن على نفسه.

<sup>٣</sup> كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيراً، وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد في سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه.

وثنى راحتيه عن خفض عيش  
ما أراه على الحياة حزيناً  
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ  
مرض الدهر فامض عنه معافى  
أنت خدن الكتاب، والموت سفر  
كان حيناً أقصى منى أقرانه<sup>٤</sup>  
بعض حزن الصباح يوم احتجائه<sup>٥</sup>  
ي سليم الفؤاد في إعلانه  
من أكاذيبه ومن أدرائه  
صدقه ظاهر على عنوانه

### على قبر حافظ يوم وفاته

أبكاء وحافظ في مكان؟  
كنت أنساً، فكيف أمسيت يا حا  
كنت تتلو الرثاء معنى فمعنى،  
كنت أعلى الجموع صوتاً فهلا  
وعزيز على بلادك أن تذ  
يوم أطلقت من إسارك حرّاً  
يوم أرسلتها على ظالمي الأو  
ألهم الله مصر فيك عزاءً  
كلنا صائر كما صرت يوماً  
تلك إحدى طوارق الحدثان  
فظ تدمى لذكرك العينان  
كيف أمسيت بعض تلك المعاني!  
نطق الآن صوت ذاك البيان  
هب يوم انبريت للميدان  
وأبيت الإسار للأوطان  
طان طعانة كحد السنان  
لا بل العرب في شفيح «اللسان»  
والذي قد صنعت ليس بفان

### على ضريح سعد يوم الخروج من السجن

إلى الذاهب الباقي نهاب مجدد  
إلى مرجع الأحرار في الشرق كله  
وعند ثرى سعد مثاب ومسجد  
إلى قبلة فيها الإمام موسد

<sup>٤</sup> كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما في الجيل الماضي. ولكن السباعي رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجتروا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب.  
<sup>٥</sup> احتج الشبان: جذبته بالمحجن، أو ضمّه واحتواه.

نحيي من الدنيا التي نستعيدها  
 مكاناً من الدنيا يخلو قفرها  
 خرجت له أسعى وفي كل خطوة  
 لأول من فك الخطى من قيودها  
 بواكير من حرية أستزيدها  
 وأعظم بها حرية زيدَ قَدْرُها  
 عرفت لها الحبين في النفس والحمى  
 وكنت جنين السجن تسعة أشهر  
 ففي كل يوم يُوَلد المرء ذو الحجى  
 وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة  
 وما غيبتني ظلمة السجن عن سني  
 عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما  
 مكاناً من الدنيا له العود أحمدُ  
 وقد قل في أمصارها ما يُخَلدُ  
 دعاء يؤدَّى أو ولاء يؤكِّدُ  
 أوائل خطوي يوم لا يتقيدُ  
 لديه، وقد يرعى البواكير معبداً<sup>٦</sup>  
 لدن فُقدت، أو قيل في السجن تُفقدُ  
 وكان لها حب - وإن جل - مفردُ  
 فهأنذا في ساحة الخلد أولدُ  
 وفي كل يوم ذو الجهالة يُلحدُ  
 فما كل ليل حين يغشاك مرقدُ  
 من الرأي يتلو فرقداً منه فرقدُ<sup>٧</sup>  
 سيعهدني كل كما كان يُعهدُ

## وحي الأربعين

سميت هذا الجزء «بوحي الأربعين»؛ لأن أكثره نُظِم حوالي سن الأربعين، وقد كنت جمعت الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان، ولاحظت في تسميتها أن يقابل كل جزء منها السن التي نُظِم فيها، فبدأت فيها ببقظة الصباح وانتهيت بأشجان الليل، وفي تسمية هذا الجزء «بوحي الأربعين» متابعة للسنة التي جريت عليها حين جمعت تلك الأجزاء.

<sup>٦</sup> إشارة إلى عادة الأقدمين حين كانوا يضعون بواكير الثمار والحبوب في المعابد؛ تيمناً واستزادة من الخير والنماء.

<sup>٧</sup> نجم قريب من القطب يُهتدى به.